مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
رابط بديل
lisanerab.com

الجمهورية اليمنية
وزارة التربية والتعليم
قطاع المناهج والتوجيه
الإدارة العامة للمناهج

الأدب والنصوص والبلاغة

للصف الثاني الثانوي

الجزء الأول

المؤلفون

د . أمة الرزاق علي حُمَّد / رئيساً

د . أحمد قاسم الزمر
أ . أحمد هادي جمال الدين
أ . خالد محمد ملهي
أ . ليلى عبد الخالق ناجي
أ . محمد عبدالله محسن
أ . محمد مثنى الخيراني
أ . نصرة عبدالله الخضر

الإخراج الفني

الصف والتصميم: عادل عبده قاسم العفيفي
بسام أحمد محمد العامر

تدقيق التصميم : حامد عبدالعالم الشيباني

١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م

النشيد الوطني

رددي أيتها الدنيا نشيدي　　رددیه وأعيدي وأعيدي
واذكري في فرحتي كل شهيدِ　　وامنحيه حُللاً مِنْ ضوءِ عيدي

رددي أيتها الدنيا نشيدي
رددي أيتها الدنيا نشيدي

وحدتي .. وحدتي .. يا نشيداً رائعاً يملأ نفسي　　أنت عهدٌ عالقٌ في كل ذِمّة
رايتي .. رايتي .. يا نسيجاً حِكْتُهُ من كل شمس　　اُخْلُدِي خَافِقَةً في كل قِمَّة
أمتي .. أمتي .. اِمنحيني البأس يا مصدر بأسي　　واذخُرِيني لَكِ يا أكرمَ أمة

عشتُ إيماني وحبِّي أُمميًا
ومسيري فوق دربي عربيا
وسيبقى نبضُ قلبي يمنيا
لن ترى الدنيا على أرضي وصيا

المصدر: قانون رقم (٣٦) لسنة ٢٠٠٦م بشأن السلام الجمهوري ونشيد الدولة الوطني للجمهورية اليمنية

أعضاء اللجنة العليا للمناهج

أ. د. عبدالرزاق يحيى الأشول.

د. عبدالله عبده الحامدي.	أ/ علي حسين الحيمي.
د/ صالح ناصر الصوفي.	د/ أحمد علي المعمري.
أ.د/ محمد عبدالله الصوفي.	أ.د/ صالح عوض عرم.
أ/ عبدالكريم محمد الجنداري.	د/ إبراهيم محمد الحوثي.
د/ عبدالله علي أبو حورية.	د/ شكيب محمد باجرش.
د/ عبدالله لملس.	أ.د/ داوود عبدالملك الحدابي.
أ/ منصور علي مقبل.	أ/ محمد هادي طواف.
أ/ أحمد عبدالله أحمد.	أ.د/ أنيس أحمد عبدالله طائع.
أ.د/ محمد سرحان سعيد المخلافي.	أ/ محمد عبدالله زبارة.
أ.د/ محمد حاتم المخلافي.	أ/ عبدالله علي إسماعيل.

د/ عبدالله سلطان الصلاحي.

قررت اللجنة العليا للمناهج طباعة هذا الكتاب .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقـــديم

في إطار تنفيذ التوجهات الرامية للاهتمام بنوعية التعليم وتحسين مخرجاته تلبية للاحتياجات ووفقاً للمتطلبات الوطنية.

فقد حرصت وزارة التربية والتعليم في إطار توجهاتها الإستراتيجية لتطوير التعليم الأساسي والثانوي على إعطاء أولوية استثنائية لتطوير المناهج الدراسية، كونها جوهر العملية التعليمية وعملية ديناميكية تتسم بالتجديد والتغيير المستمرين لاستيعاب التطورات المتسارعة التي تسود عالم اليوم في جميع المجالات.

ومن هذا المنطلق يأتي إصدار هذا الكتاب في طبعته المعدلة ضمن سلسلة الكتب الدراسية التي تم تعديلها وتنقيحها في عدد من صفوف المرحلتين الأساسية والثانوية لتحسين وتجويد الكتاب المدرسي شكلاً ومضموناً، لتحقيق الأهداف المرجوة منه، اعتماداً على العديد من المصادر أهمها: الملاحظات الميدانية، والمراجعات المكتبية لتلافي أوجه القصور، وتحديث المعلومات وبمايتناسب مع قدرات المتعلم ومستواه العمري، وتحقيق الترابط بين المواد الدراسية المقررة، فضلاً عن إعادة تصميم الكتاب فنياً وجعله عنصراً مشوقاً وجذاباً للمتعلم وخصوصاً تلاميذ الصفوف الأولى من مرحلة التعليم الأساسي.

ويعد هذا الإنجاز خطوة أولى ضمن مشروعنا التطويري المستمر للمناهج الدراسية ستتبعها خطوات أكثر شمولية في الأعوام القادمة، وقد تم تنفيذ ذلك بفضل الجهود الكبيرة التي بذلها مجموعة من ذوي الخبرة والاختصاص في وزارة التربية والتعليم والجامعات من الذين أنضجتهم التجربة وصقلهم الميدان برعاية كاملة من قيادة الوزارة والجهات المختصة فيها.

ونؤكد أن وزارة التربية والتعليم لن تتوانى عن السير بخطى حثيثة ومدروسة لتحقيق أهدافها الرامية إلى تنوير الجيل وتسليحه بالعلم وبناء شخصيته المتزنة والمتكاملة القادرة على الإسهام الفاعل في بناء الوطن اليمني الحديث والتعامل الإيجابي مع كافة التطورات العصرية المتسارعة والمتغيرات المحلية والإقليمية والدولية.

أ.د. عبدالرزاق يحيى الأشول
وزير التربية والتعليم
رئيس اللجنة العليا للمناهج

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين،... أما بعد.

فهذا هو الجزء الأول من كتاب «الأدب والنصوص والبلاغة» للصف الثاني الثانوي بقسميه «العلمي والأدبي»، نقدمه لأبنائنا طلاّب وطالبات هذا الصفّ، والذي يعدّ امتداداً وتواصلاً لما تم أخذه في الصف الأول الثانوي في الفروع التي وسم بها الكتاب مع إضافة فرع رابع هو: العروض. وهذا الكتاب بجزأيه يعدّ لبنة في البناء المنهجي الذي قامت وتقوم بتشييده وزارة التربية والتعليم كمنهاج حديث مطوّر للغة العربية يواكب المستجدّات، ويستشرف المستقبل، ويسهم في بناء أجيال يمنية واعدة، تجمع بين الأصالة والمعاصرة.

ويحتوي هذا الجزء على مايمكن أن نسمِّيه مجالات أربعة نوضحها في الآتي:

المجال الأول: الأدب في العصر العباسي الأول شعراً ونثراً كرؤية تاريخيّة للحياة العباسية في هذا العصر، وما يموج فيها من أحداث وتغيّرات كان لها أثر بارز في الأدب، للوصول إلى تلمُّس بعض الظواهر الأدبية الجديدة أو المتطوّرة في هذا العصر، ومعرفة مدى تأثُّرها وتأثيرها في حياة العبّاسيّين الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة، ومن ثَمَّ معرفة الخصائص والمميّزات لشعر هذا العصر ونثره، مع إطلالة وافية مختصرة على حياة الشعراء والأدباء الذين تم اختيارهم كنماذج تمثّل هذا العصر لمعرفة الأسباب المؤثرة في حياتهم الشخصية، وإبداعاتهم الفنيّة.

المجال الثاني: النصوص الشعرية والنثرية لمجموعة من كبار الأدباء في العصر العباسي الأول، كأمثلة مختارة تعطي رؤية واضحة لذلك العصر، وقد راعينا في اختيارها تعدّد الأغراض، ومكانة الأديب، وقلّة الكمّ مع التركيز على الكيف، والوحدة العضوية، ليتمكن المعلّم من السيطرة عليها، ويسهل على الطالب / الطالبة فهمها وحفظها، واستيعاب مراميها اللغوية والأسلوبية، مصحوبة بتفسير المفردات والتراكيب اللغوية الصعبة، وإضاءة توضّح المعنى العام، وتحليل الصور والأساليب البلاغية، مع تذييل كل نصّ بأسئلة شاملة قد تتجاوز النصّ إلى التذكير ببعض المفهومات والقواعد النحوية والصرفية والإملائية والبلاغية للمحافظة على التكامل بين فروع المادة، وهو أسلوب تربوي يجعل الطالب منجذباً إلى كل فروع المادة دون استثناء.

المجال الثالث: البلاغة، وهي منحصرة بعلم المعاني، وقد بدئت بمراجعة عامة على ماسبق دراسته، ثم تناولت: (الخبر والإنشاء –الجملة الخبرية– الإنشاء غير الطلبي – أساليب الإنشاء

الطلبي (الأمر – النهي– الاستفهام – النداء – التمني) وأغراضها البلاغية . وقد قدمت موضوعات البلاغة بأسلوب يسهل فهمها ابتداء بالأمثلة، ثم التوضيح، ثم الخلاصة، وأخيراً الأسئلة الشاملة .

المجال الرابع والأخير : العَرُوض، وفيه مقدّمة تتناول لمحة عن بدايات نشأة هذا العلم، ثم معرفة بعض المصطلحات العروضية، وكيفية الكتابة العروضية، وكيفية تقطيع البيت الشعري، مع أمثلة على ذلك من بحرين هما : الطويل والوافر، إضافة إلى توضيح بعض التغييرات التي تحدث في كل منهما .

وهذا الجزء يُشَكِّل – مع الجزء الثاني– بناءً واحداً متكاملاً، يؤدي غايته في تنمية قدرات الطلاب في الفهم، والتحليل، والاستنتاج، والتذوّق، والنقد، بصورة تتلاءم مع المستوى العمري والعقلي للطلبة .

وقد تمّ إعداد هذا الكتاب في ضوء مجموعة من الأسس التربوية المستوحاة من طبيعة تعليم اللغة العربية، في مجالات الأدب والنصوص والبلاغة والعروض، وأهدافها في المرحلة الثانوية، ومن خصائص نموّ الطلاب وحاجاتهم النفسية في هذه المرحلة .

وقد حرصنا أن تكون تلك الموضوعات محققة لأهداف هذه المجالات، كما حددتها وثيقة منهاج اللغة العربية، مع مراعاة دقة المعلومات، ووظيفيّتها، حتى تسهم في اكتساب الطلاب المهارات المطلوبة .

أما عرض المادة فقد انتهجنا فيه نهجاً يقوم على التطبيق الوظيفي، والمشاركة الفاعلة للطالب في الفهم، والمهارة، والتذوق، ارتقاءً بالأداء اللغوي من ناحية، وإحداث التكامل بين جوانب الخبرة اللغوية من ناحية أخرى؛ يتّضح ذلك من خلال كيفية العرض لكل موضوع من موضوعات الكتاب، ونوعية الأسئلة والتدريبات التي تعقبه إذ إنها تقيس مدى فهم الطالب / الطالبة واستيعابه لجوانب الموضوع، وتأخذ بيده في رفق وأناة إلى تبيّن أفكاره وتمحيصها، وتذوق القيم الجمالية فيه، وتتيح له مجالا خصباً لتطبيق ماتعلمه من قواعد ومفهومات لغوية : نحوية وصرفية وإملائية وبلاغية وعروضية ضمن فروع اللغة العربية الأخرى .

كما لايفوتنا أن نشير هنا إلى أن زملاءنا المعلمين / المعلمات هم الأساس في نجاح هذا المجهود، ودورهم هو الجزء المهم المكمِّل لعملية تطوير هذا المنهاج، والسير به إلى الغايات المنشودة .

والله من وراء القصد ،،،

المؤلفون

الفهرس

الفهرس

الأدب والنصوص

العصر العباسي :

- العصر العباسي الأول .
- الشعر .
- نماذج شعرية .
- النثر .
- نماذج نثرية .

العصر العباسي

انتشر الإسلام في أرجاء الجزيرة، فقضى بنوره على ظلمات الجهل والجهالة، ثم امتد لواؤه في عهد الخلفاء الراشدين ليخفق على كثير من البلاد كفارس ومصر والشام التي وجدت في ظل الإسلام السلام والأمن.

ولقد عرفنا أن الدولة الأموية قامت في عام ٤١هـ-٦٦١م.

واتسم العصر الأموي بوجود ثقافة عربية مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتراث العربي، بالإضافة إلى التعرف على ثقافات الأمم الأخرى، إلا أن هذا العصر لم يخل من القلاقل والفتن التي أدت إلى اشتعال الحروب الداخلية، والثورات التي أدت في النهاية إلى انهيار الدولة الأموية، وظهور الدولة العباسية على يد أبي مسلم الخراساني، وقد امتد هذا العصر لأكثر من خمسة قرون (١٣٢-٦٥٦هـ) (٧٥١-١٢٥٨م).

ينقسم العصر العباسي إلى قسمين، العصر العباسي الأول الذي انتهى مع نهاية خلافة المعتصم، وكانت الدولة الإسلامية فيه قوية، والعصر العباسي الثاني، ما بعد خلافة المعتصم، وفيه ضعفت الدولة الإسلامية.

العصر العباسي الأول

قامت الدولة العباسية على أكتاف الموالين لبني العباس. وكانت دعوة العباسيين قبل أن تؤول الأمور إليهم ذات شقين:

أولاً - لم يكونوا يعلنون طلب الخلافة، بل اقتصرت مناهضتهم للحكم الأموي بدعوى تحقيق الحكم العادل.

ثانياً - قامت مناهضتهم لحكم بني أمية تحت دعاوى مختلفة، فلما سقطت الدولة الأموية استأثر العباسيون بالحكم لأنفسهم، وقدموا حججاً في أحقيتهم.

كان أول خليفة عباسي هو أبو العباس السفاح الذي بنى مدينة «الهاشمية» في العراق حاضرة أو عاصمة له، إلى أن بنى أبو جعفر المنصور (الخليفة الثاني) «بغداد» وجعلها عاصمة الدولة العباسية، التي صارت أهم مدينة في الدولة الإسلامية من حيث إنها مدينة حصينة تضمّ مئات المساجد والقصور الفخمة والأسواق العديدة، يؤمها الأدباء والعلماء وسواهم.

ثم تعاقب خلفاء العصر العباسي الأول بعد السفاح والمنصور وهم: المهدي، الهادي، الرشيد، الأمين، المأمون، المعتصم.

وفيما يلي أهم مظاهر الحياة في هذا العصر.

أولاً - الحياة السياسية:

غلب الطابع الفارسي على أنظمة الدولة السياسية والإدارية، لأن العراق عامة كانت في نطاق النفوذ الفارسي قبل الفتح الإسلامي، ولأن للفرس دوراً كبيراً في انتصار العباسيين. والتأثير الفارسي في النظم الإدارية قديم، إذ إن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– عندما أنشأ الدواوين أنشأها بما هو مسموع ومعروف لدى الفرس، وأشهرها ديوان الجُنْد.

وعلى الرغم من أن الأمويين هم الذين ابتدؤوا توريث الحكم، إلا أن العباسيين قد زادوا في الحجَّاب ورؤساء التشريفات والإداريين من غير العرب. كما عرف منصب الوزير في هذا العصر.

وفيما يخص تأثير السياسة والأدب في بعضهما يمكن القول: إن الأحداث السياسية تؤثر تأثيراً قوياً على الأدب وحركته، لكن هذا التأثير لايجعل من التاريخ الأدبي تابعاً لتاريخ السياسة. يمكننا أن نربط بين التاريخ الأدبي والتاريخ السياسي شريطة ألا نفهم أن هناك تطابقاً. والتاريخ الأدبي للعصر العباسي كان قد بدأ قبل سقوط الدولة الأموية.

ثانياً- الحياة الاجتماعية:

ورث هذا العصر الحضارات القديمة في العراق: الفارسية والكلدانية والآرامية، فتفاعل الفكر الإسلامي مع هذه الحضارات، وأفرز حياة اجتماعية، من أهم معالمها:

١ – الثراء وتقدم العلوم:

وتتمثل مظاهر الثراء والتقدم العلمي في المباني وفي طريقة المأكل والمشرب والملبس الرفيه، وفي تطور الإدارة تطوراً يخدم النمو السياسي والاجتماعي. أما نمو المعرفة فقد دلت عليه الكثير من المظاهر، لعل أهمها تشجيع الخليفة المأمون للعلم والمعرفة، حيث بنى دار الحكمة، وكان يعطي من يترجم كتاباً وزنه ذهباً.

ولا شك أن الثراء لم يكن يشمل كل المجتمع، بل شمل العاملين في الدولة والتجار وأمثالهم. لقد كانت جدران القصور تزين بالزخارف، وقد تذهَّب السقوف والأبواب، وكانت أرضية هذه القصور تموج بالبسط الفارسية، والطنافس ومناضد الأبنوس. وكانت خزائن الدولة متخمة يحمل إليها الذهب والفضة من كل مكان.

٢ – الزهد:

كان الزهد رد الفعل الطبيعي لكل سلوك منحرف ظهر في المجتمع، إذ انتشر الوعَّاظ يلقون الوعظ الذي يدفع الناس للعبادة ورفض المتاع الدنيوي، وسلوك السبيل الواضح إلى نعيم الآخرة. يقول ابن السماك في وعظ الرشيد:

«الدنيا كلها قليل، والذي بقي منها في جنب الماضي قليل، والذي لك من الباقي قليل، ولم يبق من قليلك إلا القليل».

ويقول محمود الورّاق:

يا غافلاً ترنو بعينَيْ راقد   ومشاهداً للأمر غيرَ مشاهدِ
تصلُ الذنوبَ إلى الذنوبِ وترتَجي   دَرَكَ الجنانِ بها وفوزَ العابدِ
ونسيتَ أن اللهَ أخرج آدماً   منها إلى الدنيا بذنبٍ واحدِ

ثالثاً - الحياة الفكرية:

يُعد العصر العباسي العصر الذهبي لازدهار الحضارة الإسلامية بما وصل إليه من علوم وفنون ومعارف متنوعة، فقد كان هذا العصر وريث كل الثقافات السابقة، التي كان أسلوب الإسلام التفاعل معها وأخذ ما هو إيجابي منها.

لقد ازدهرت العلوم بالبحث والترجمة من اليونانية والفارسية والهندية إلى الدرجة التي جعلت المأمون ينشئ دار الحكمة لتهذيب الكتب المترجمة وتوحيد

الأسماء المعربة. وكان لهذه الحركة النشيطة في الترجمة أثر كبير في اتساع دائرة اللغة لتستوعب التمدن والنمو الحضاري الإسلامي.

الشعر في العصر العباسي الأول

ذكرنا أن الحياة بمجمل جوانبها قد تغيرت في هذا العصر. وهذا يعني أن يتغير الشعر لأنه جزء من الحياة العقلية والوجدانية للمجتمع الجديد.

وأول ما يميز هذا العصر فيما يخص الشعر هو اهتمام اللغويين بالشعر. ويرجع ذلك إلى دراسة هؤلاء اللغويين للقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف. فبالقرآن والحديث أضحى هؤلاء اللغويون والنقاد ذوي ثقافة يستطيعون بواسطتها تحليل الشعر ونقده، وتمييز جيده من رديئه. ومن هنا ازدادت أهمية الشعر ومكانته.

وازدادت أهمية الشعراء -أيضاً- بتشجيع الخلفاء، وبسبب ماكانوا يغدقون من أموال على الشعراء. وكان هؤلاء الشعراء ذوي معرفة لغوية وشعرية لما توافر بين أيديهم من أشعار العصور الماضية مكتوباً ومنطوقاً. لذلك توفرت دراسة اللغة والشعر، ونبغ شعراء كثيرون، بعضهم من أصول غير عربية مثل بشار وأبي نواس وغيرهما.

ورغم أن الشعراء واللغويين النقاد قد جعلوا الشعر القديم مقياساً للجودة إلا أن هذا العصر قد فرض شعراً يناسب المجتمع المتحضر. فقد استحدثوا أسلوباً جديداً يعتمد على التوسط بين لغة البداوة الزاخرة بالكلمات الوعرة المتأثرة بالبادية، ولغة العامة الزاخرة بالكلمات المبتذلة. وبشار في طليعة من أرسى هذا الأسلوب، فشعره كما يقول ابن المعتز «أنقى من الراحة وأصفى من الزجاجة وأسلس على اللسان من الماء العذب».

إن ظروف هذا العصر الأدبية والثقافية على وجه الخصوص غنية ومتنوعة؛ فقد شهد القرن الثاني التحرر من تقليد الشعراء القدامى من جاهليين وغيرهم، حيث حاول ثلاثة من الشعراء الكبار أن يحرروا القصيدة العربية من تأثير القديم، وحاولوا أن يتجاوزوا الوضع الذي كان عليه في العصر الأموي. لقد عملوا على أن يخرجوا بالقصيدة لتلائم حاجات المجتمع الجديد واتجاهاته، وأرسوا تقاليد القصيدة العباسية

الجديدة، وأحدثوا تجديداً عميقاً في شكلها ومضمونها. وهؤلاء هم بشار وأبو نواس وأبو العتاهية.

أما القرن الثالث فقد شهد قضية الصراع بين القديم والجديد (عمود الشعر-البديع)، وعلى رأس المحافظين أو الاتجاه القديم البحتري، وعلى رأس المجددين أبو تمام. ولقد ظهر أكبر كتاب نقدي في هذا العصر، وهو كتاب الموازنة بين الطائيين (البحتري، وأبي تمام) للآمدي.

الأغراض الشعرية في هذا العصر:

يمكننا القول: إن الشعر في العصر العباسي الأول قد احتفظ بالأغراض المعروفة: المدح، والهجاء، والفخر، والرثاء، والغزل، والزهد. غير أن بقاء هذه الأغراض إنما كان من حيث الشكل، لكنها تجددت من حيث المضمون. بما يناسب العصر.

وقد ابتدعت أغراض شعرية جديدة مثل وصف القصور والبساتين والمياه، والشعر التعليمي.

يقول أبو عيينة المهلبي في وصف قصر:

فيا طيبَ ذاك القصر قصراً ومنزلاً … بأفيح سهلٍ غيرَ وعرٍ ولاضنكِ

بغرسٍ كأبكار الجواري وتربةٍ … كأن ثراها ماءُ وردٍ على مسكِ

وسربٍ من الغزلان يرتعن حوله … كما استل منظوم من الدرِّ من سلكِ

وقال إبراهيم بن المهدي في النرجس:

ثلاثُ عيونٍ من النرجسِ … على قائمٍ أخضرٍ أملسِ

يذكرنَني طيبَ ريّا الحبيبِ … فيمنعنني لذةَ المجلسِ

خصائص الشعر في هذا العصر:

يمكن أن تلمح خصائص الشعر في العصر العباسي الأول من حيث الشكل والمضمون فيما يأتي:

١- الخصائص الشكلية:

- الانصراف إلى الزخارف اللفظية، والمحسنات البديعية، والتركيز على رقة اللفظ

وحلاوته، وعلى وضوح العبارة وسهولتها، بما يناسب الحضارة.

- التخلص من الشكل القديم للقصيدة الذي يبدأ بمقدمة قبل الموضوع تثير مشاعر الحنين والشوق، كالوقوف على الأطلال، والنسيب، ووصف الصحراء والمطيّة...

٢- الخصائص المضمونية :

- التعبير عن الواقع الجديد، وتأكيد مكانة العرب، وارتباطهم بتاريخهم، ولغتهم، وتأكيد شمولية الدين الإسلامي الذي يظلل القوميات والأجناس كافة.

أسئلة وتدريبات

١ - ما معنى «حاضرة الدولة»؟

٢ - ما المقصود بـ «دواوين الدولة»؟

٣ - ما وظيفة «دار الحكمة»؟

٤ - هل هناك تطابق بين السياسة والأدب؟ وضح ذلك.

٥ - ما مظاهر الترف والثراء في هذا العصر؟

٦ - مادور اللغويين في الشعر ؟

٧ - ما مقياس الجودة الشعرية في هذا العصر؟

٨ - هل هناك أسلوب شعري جديد ظهر في هذا العصر ؟ وضح ذلك.

٩ - ما الذي شهده القرنان الثاني والثالث من قضايا أدبية؟

١٠- اذكر أهم الأغراض الشعرية والخصائص الفنية للشعر في هذا العصر.

من شعر الحكمة

لبشار بن برد

التعريف بالشاعر

هو بشار بن برد بن يرجوخ فارسيٌّ الأصل، بصريُّ المولد، عُقَيْليٌّ النشأة والولاء، تربى في قبيلة بني عقيل[١]، وكانت هذه النشأة هي السر الكامن وراء فصاحته، ولد بشار سنة ٩١هـ، وقيل ٩٥هـ، ونشأ نشأة عربية فصيحة.

ولد أعمى، وفي ذلك يقول:

عَميتُ جنيناً والذكاءُ من العَمَى ... فجئتُ عجيبَ الظنِّ للعلم مَوْئِلا

نهل من حلقات العلم والشعر بالبصرة، فاستقام لسانه، وقال الشعر مبكراً؛ حيث تفتّقت موهبته وهو في العاشرة من عمره. كان لبيئته الشعرية وفقد بصره أثر في شعره الهجائي، ولذلك تناول بالهجاء كبار الشعراء كجرير الشاعر الأموي المعروف[٢]، بيد أن جريراً استصغره فلم يرد عليه.

يعدّ بشار رأس المحدثين؛ حيث تقدم الشعراء العباسيين، وكان غير محترز في أقواله ومجالسه، سليط اللسان على الأمراء والكبراء والعلماء والشعراء، ولذلك اتُّهم بالزندقة، وكانت أحد أسباب قتله، ونسبت إليه أبيات تدل على ذلك، قُتِلَ سنة ١٦٨هـ.

وبشار شاعر مجيد تمكّن من اللغة، وامتلك ناصية الإبداع، وسخر ذلك في شعره، فجاء شعره فطرياً غزير المعاني، عميق التفكير، دقيق النظم، واسع الخيال، بارعاً في رسم الصور يدل على ذلك قوله في وصف معركة:

كأنّ مُثارَ النقعِ فوقَ رؤوسِنا ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كواكِبُهْ

---

(١) بنو عقيل قبيلة عربية كانت تسكن البصرة.

(٢) أدرك بشار العصر الأموي وعاش فيه فترة من حياته، وعاصر كبار شعرائه وهو لايزال في سن الشباب، ولذلك عدَّ من الشعراء المخضرمين (أمويّ – عباسي) لكن نبوغه الشعري كان عباسياً.

وكان بشار يفخر بهذا البيت، ويقول: لازلت أروي بيت امرئ القيس:

كـأنَّ قلوبَ الطيــرِ رطبـاً ويابسـاً   لدى وكـرِها العنابُ والحشفُ البَـالِي

حتى صنعت وذكر البيت « كأن مثار النقع ».

النص

- أ -

(١) إذا كنتَ في كلِّ الأمورِ معاتِباً   صديقَكَ لم تلقَ الذي لاتُعاتبُهْ

(٢) فعِشْ واحداً أوصلْ أخاك فإنَّهُ   مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبُهْ

(٣) إذا أنتَ لم تشربْ مراراً على القَذَى   ظمِئتَ وأيُّ الناسِ تصفُو مشاربُهْ؟!

(٤) ومن ذا الذي تُرضَى سجاياه كلُّها؟   كفى المرءَ نبلاً أن تُعدَّ معايبُهْ

- ب -

(١) إذا بلَغَ الرأيُ المشورة فاستعنْ   برأي نصيحٍ أو نصيحةِ حازمِ

(٢) ولا تجعلِ الشورى عليك غضاضةً   فإن الخوافي قوةٌ للقوادمِ

(٣) وما خيرُ كفٍّ أَمْسَكَ الغُلُّ أختَهَا   وما خيرُ سيفٍ لم يُؤيَّدْ بقائمِ

(٤) وخلِّ الهُوَيْنَى للضعيفِ ولاتكنْ   نؤوماً فإن الحزمَ ليس بنائمِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

مقارف: مرتكب، **القذى**: مايصيب العين، والمراد هنا مايقع في الماء من الأوساخ، **المشارب**: موارد الشرب، **السجايا**: جمع سجية الخصال والمراد هنا الطبيعة، والخلق، **الحازم**: من الحزم ضبط الأمر، **الشورى**: المشاورة والأخذ بالرأي الآخر إذا كان سديداً، **غضاضة**: الذُّل والمَنْقَصَةُ والعيب، **القوادم**: ريشات تأتي في مقدمة جناح الطائر، **والخوافي**: ريش ضعيف يأتي في مؤخرة الجناح، **الهوينى**: الاتئاد في المشي والدعة، **الغلّ**: القيد.

إضـــاءة

يتألف النص من مقطعين أُخذا من قصيدتين مشهورتين للشاعر: إحداهما بائية، والأخرى ميمية، ويجمعهما أنهما ينبئان عن تجربة عظيمة في الحياة العقلية للشاعر وعصره، وهي الحكمة، ففي المقطع الأول ألقى الشاعر نظرة على قضية من قضايا العلاقات الاجتماعية وهي الصداقة حيث قال:

إنك لن تجد صديقاً خالياً من بعض الهنات، فخير لك أن تقبل صديقاً على مافيه من عيوب، من أن تعيش وحيداً، فهذه هي طبيعة البشر يخطئون مرة، ويصيبون أخرى، فعليك بالاعتدال في العتاب، فإن كثرة العتاب –كما يقول الجاحظ– سبب للقطيعة، واطِّراحه كله دليل على قلة الاكتراث بأمر الصديق، ويشبّه الشاعر الصديق بالماء يصفو مرة ويكْدُرُ أخرى، وكذلك الإنسان تعتريه حالات من الجد والهزل، والمرح والترح، والرضى والغضب، والسعادة والبؤس.

وينصح الشاعر مخاطبه أن يوطن نفسه على التعامل مع الصديق بصفاته المختلفة كما هو الحال بالنسبة للماء، يشربه صافياً تارة، وكدراً تارةً أخرى، وإلا مات ظمأ .

وينهي الشاعر المقطع الأول بالإشارة إلى أن الإنسان كذلك تختلف طباعه وأخلاقه، فمنها ما ينال الاستحسان والرضى، ومنها ما يقابل بالسخط والرفض، وليس في البشر أحد كامل الصفات، فإذا وجدت فيهم من تستطيع حصر عيوبه فذلك صديق نبيل، فالزمه.

وفي المقطع الثاني يرشد الشاعر مخاطبه إلى الاستشارة إذا عرض له مايدعو إلى ذلك، على أن يتوافر في المستشار العقل والدين والحكمة وسداد الرأي، وألا يجعل المستشير الشورى منقصة ومذلة وعيباً فإن الرأي يزداد بالشورى حصافة ونضجاً .

ويشبه الرأي الحصيف إذا ما استعان صاحبه بالشورى بجناح الطائر يزداد قوة على الطيران حين يتضافر ريش قوادمه وخوافيه، ويعزز الشاعر فكرته تلك باليد الواحدة تكون عاجزة عن أن تعمل دون أختها، وكذلك السيف يكون عاجزاً عن الضرب والقطع إذا لم يكن له يد تجعل منه سيفاً صارماً.

ويختم الشاعر المقطع بحكمة بالغة تدعو إلى الحزم واليقظة في تدبير الأمور فإن الرأي السديد يتطلب حزماً وعزيمة في اتخاذ القرار .

تحليل وتذوق

إذا عدنا إلى الأبيات وتدبرنا مافيها من تراكيب وصور وأخيلة لوجدنا أن هذه العناصر هي التي أكسبت المعنى تأثيراً في النفس وقوة في الفكر وسعة في الدلالة.

لنتأمل أساليب الإنشاء الطلبي من أمر ونهي واستفهام، وما تحمله من أغراض بلاغية ودلالات فكرية فالأمر في قوله «فعش واحداً أو صل أخاك» أمر يراد به التخيير بين الانعزال والوحدة، أو التعايش والمرونة والصبر على الآخرين، وكذلك «استعن» و«خلّ» أمران يراد بهما الإرشاد والنصح تدبر البيت -٢- من المقطع الأول والبيت -١- من المقطع الثاني، والنهي في قوله «ولا تجعل الشورى» نهى يراد منه الكف عن اعتبار الشورى منقصة وعيباً ولكن النهي هنا ليس ملزماً بل هو نهى إرشاد وكذلك النهي عن الغفلة والنوم وترك الحزم في البيت الرابع من المقطع الثاني، وفي البيت الثالث سُلِبَ الاستفهام معنا ه الحقيقي، وأُضفي عليه غرض جديد وهو النفي في الشطرين «وما خير كف - وما خير سيف».

وهذا النفي إنما يراد به الإشارة إلى أهمية الأشياء الصغيرة في دعم الأشياء الكبيرة، فاليد الواحدة لاتصفق، والسيف سرُّ قوته في يده أو في مقبضه.

وفي البيت الثالث من المقطع الأول صورة أدبية جميلة تتكئ على الاستعارة حيث شبه تحمّل الأذى بالشرب من الماء الكدر، وجعل عدم تحملها ظمأً يتحقق منه الهلاك، ولذلك فالاستعارة تمثيلية، حيث شبه من لم يصبر على هفوات أخيه ويغفر له بعض زلاته لن يجد من لايخطئ فمثله: إما أن يعيش منعزلاً عن الناس، وإما أن يصل إخوانه ويعفو عن بعض زلاتهم. وهي صورة بديعة من صور التعبير الشعري، فقد اختزلت المصائب كلها في مصيبة يتفق عليها الجميع وهي الظمأ، وأي مصيبة أعظم منه؟!

أسئلة وتدريبات

١ – بشار بن برد شاعر مجيد باتفاق النقاد، فما مظاهر تلك الإجادة؟

٢ – ما الألفاظ المرادفة للألفاظ الآتية «القذى، الشورى، غضاضة»؟

٣ – الدنيا لاتصفو لأحد من البشر، كيف صور الشاعر هذه الفكرة؟

٤ – اختر الإجابة الصحيحة من بين القوسين فيما يأتي:

أ – الغل: «الاحتيال، القيد، الاغتيال».

ب– غضاضة: «غض البصر، الطراوة، المنقصة والعيب».

جـ– لم تلق «فعل مضارع مجزوم بلم وعلامة جزمه»: (السكون، الفتح، حذف حرف العلة).

د– ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها، إنشاء طلبي، هل هو «أمر، نهي، استفهام»؟

٥ – هات من النص استفهاماً يراد به النفي، وأمراً يراد به النصح والإرشاد.

٦ – ما البيت الذي يوافق قول الجاحظ: «فإن كثرة العتاب سبب للقطيعة؟

٧ – قارن بين البيتين الآتيين من حيث التشبيه، وانسب كلاً منهما إلى قائله:

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالي

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

٨ – لم كتبت الهمزة في الكلمات (ظمئت – المرء – نؤوماً) بهذه الصورة؟

٩ – وضح جمال الصورة في قول الشاعر:

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

١٠– بم يتميز أسلوب بشار بن برد؟

فَتْحُ الفُتُــوحِ

لأبـي تــمــــــــام

التعريف بالشاعر

هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، زعيم المجددين ورأس مدرسة البديع، وأحد أمراء البيان. ولد في قرية (جاسم) قرب دمشق ١٨٨هـ الموافق ٨٠٤م، انتقل مع أبيه إلى دمشق، حيث عمل في القزازة (نسج الحرير)، ويبدو أن هذه المهنة قد تركت أثرها في فنه، فراح يحوك قصائده بإتقان، ويطرزها بالمحسنات البديعية. وكان يتردد على المسجد الجامع؛ حيث كان المسجد مؤسسة ثقافية. فلما ترعرع غادر الشام إلى مصر، يسقي الماء بجامع عمرو بن العاص، ويستقي من أدب علمائه، ويتزود بتلك الثقافة الواسعة التي نلمحها في شعره.

وفي مصر اتصل بشاعر هَجَّاء، هو يوسف السَرَّاج الذي كان معروفاً بالغوص في الأفكار والإكثار من الغريب. ولعل صلته بهذا الشاعر قد أثرت في منهجه الفني، فقد عرف عن أبي تمام –فيما بعد– تعمقه في المعاني والغوص في الأفكار.

ولم يزل أبو تمام يحفظ الأشعار ويحاكي الشعراء حتى بلغ من الشعر مبلغاً لم يزاحمه فيه أحد من شعراء عصره. قيل: إنه كان يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقطوعات، وتنطق بذلك كتبه وتصانيفه التي أشهرها (ديوان الحماسة) الذي جمع فيه عيون الشعر في الجاهلية والإسلام.

وقد طوف شاعرنا في أرجاء واسعة من الدولة العربية الإسلامية المترامية الأطراف، يغشى منازل الكرماء ويتفيّأ ظل النعمة قبل أن يستقر به المقام في العراق.

اتصل بالخلفاء وكبار رجالات الدولة في عصره، ومدح المأمون وأشاد بانتصاراته على الروم، وقال في المعتصم أجمل قصائده. وأكثر شعره في المدح الذي برع فيه كثيراً، كما برع في الرثاء، حتى قيل: «أبو تمام مداحةٌ نواحة».

ومن معالم شخصيته أنه كان كثير المروءة، كريم الأخلاق، قوي الحافظة، حاضر البديهة. ومما يذكر في هذا المجال أنه لما أنشد أحمد بن المعتصم قصيدته السينية التي يقول في مطلعها:

مـافي وقـوفك سـاعـةً من بـاسِ   تقـضـي ذمـامَ الأربُـعِ الأدراسِ

ولما وصل إلى قوله فيها:

إقدامُ عـمروٍ[١] في سماحةِ حاتمٍ[٢]   في حلمِ أحنفَ[٣] في ذكاءِ إياسِ[٤]

قال أبو يوسف الكندي الفيلسوف، وكان حاضراً: الأمير فوق من وصفت. فأطرق أبو تمام قليلاً، ثم قال على البديهة:

لاتـنـكـروا ضـربي لـه من دونـه   مـثـلاً شـروداً [٥] في الندى والبـاسِ

فـالله قـد ضـربَ الأقلَّ لنوره   مـثـلاً من المشكاة [٦] والنبـراسِ [٧]

ولما أخذت منه القصيدة لم يجدوا فيها هذين البيتين، فعجبوا . وقال الفيلسوف للخليفة: مهما يطلب فأعطه، فإن فكره يأكل جسمه، كما يأكل المهند غمده، ولا يعيش كثيراً. فولي بريد الموصل، ولم يتم سنتين حتى توفي بها عام ٢٣١هـ- ٨٤٦م قبل أن يتم الأربعين.

وقد كثر اختلاف الناس في شعر أبي تمام، والواقع أن الغموض سمة بارزة في شعره، ويصدر هذا الغموض من عمق الفكرة، وغرابة الصورة.

مناسبة النص

اعتدى الروم على مدينة(زِبَطرة) المتاخمة لبلادهم، وعاثوا فيها فساداً، وأسروا بعض الرجال والنساء، وبلغ المعتصم أن امرأة عربية كانت تستغيث « وامعتصماه! »، فهب قائلاً: لبيك!، ومضى على رأس جيشه فاجتاح أنقرة، واتجه صوب عمورية حصن الروم المنيع – غير عابئ بأقوال المنجمين الذين نصحوه بالتريث إلى شهر صفر –

(١) عمرو بن معدي كرب الزبيدي فارس مشهور توفي سنة ٢١هـ. (٢) أحد أجواد العرب المشهورين.
(٣) الأحنف بن قيس من سادات التابعين، كان شهماً حليماً عزيزاً في قومه، يغضب لغضبه مائة ألف لا يسألون عن سبب غضبه، توفي سنة٦٧هـ.(٤) قاضي البصرة وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء والفراسة والحدس، توفي سنة ١٢٢هـ(٥) شروداً: سائراً (٦) المشكاة: فتحة في الحائط غير نافذة. (٧) النبراس: المصباح.

ففتح عمورية عنوة. وقد شهد أبو تمام المعركة، فقال قصيدته الخالدة، وهي من البحر البسيط، ومنها النص الآتي.

النص

(١) السيفَ أصدقَ أنباءَ من الكتبِ — في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللعبِ
(٢) بيضُ الصفائحِ لاسودُ الصحائفِ في — متونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرِّيَبِ
(٣) والعلمُ في شُهبِ الأرماحِ لامعةً — بينَ الخميسينِ لافي السبعةِ الشُهبِ
(٤) أينَ الروايةُ؟ بل أينَ النجومُ وما — صاغوهُ من زخرفٍ فيها ومن كَذِبِ؟
(٥) فتحُ الفتوحِ تعالى أن يحيطَ به — نظمٌ من الشعرِ أو نثرٌ من الخطبِ
(٦) فتحٌ تفتحُ أبوابُ السماءِ له — وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ
(٧) يايومَ وقعةِ عموريةَ انصرفت — عنك المنى حفَّلاً معسولةَ الحلَبِ
(٨) لقد تركتَ أميرَ المؤمنينَ بها — للنارِ يوماً ذليلَ الصخرِ والخشبِ
(٩) غادرت فيها بهيمَ الليلِ وهو ضحىً — يشلُّه وَسْطَها صبحٌ من اللَّهبِ
(١٠) حتى كأن جلابيبَ الدُّجَى رَغِبت — عن لونها أو كأن الشمسَ لم تَغبِ
(١١) ضوء من النارِ والظلماءُ عاكفةٌ — وظلمةٌ من دخانٍ في ضحىً شحبِ
(١٢) فالشمسُ طالعةٌ من ذا وقد أفلت — والشمسُ واجبةٌ من ذا ولم تَجبِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

حده: حد السيف، **الحد**: الفاصل بين الشيئين، **الصفائح**: جمع صفيحة ويعني السيوف، **الصحائف**: جمع صحيفة ويعني أوراق المنجمين وكتبهم، **متونهن**: المتن الظهر، ويقصد به جوانب السيوف **الخميسين**: مثنى خميس وهو الجيش، سمي كذلك لأن له خمسة أقسام: المقدمة والقلب والجناحان والمؤخرة، **السبعة الشهب**: الكواكب السبعة السيارة وكانت عند العرب: عطارد والزهرة والشمس والقمر والمريخ والمشتري وزحل، وتعد الشمس اليوم نجماً، **تفتح**: تتفتح، **الحَلَب**: اللبن المحلوب، **يشله**: يطرده، **جلابيب**: جمع جلباب وهو الرداء العريض، **عاكفة**: مقيمة، **وجبت**: غابت.

إضـــاءة

تنبأ المنجمون أن فتح عمورية في هذا الوقت فيه خطر على الخليفة وجيشه، فبدأ الشاعر قصيدته بالرد على تلك المزاعم فقال: إن أنباء السيف أصدق من أنباء كتب المنجمين، وأن العزم والقوة هما اللذان يحددان نتائج المعارك بإذن الله، وحد السيف هو الحد الفاصل بين الحقيقة والخرافة، وبياض السيوف خير من سواد أوراقهم تلك، ففي السيوف تتضح الحقائق وتزول الشكوك. والعلم الحقيقي ليس في الشهب السبعة التي في السماء، ولكنه في شهب الرماح تلمع بأيدي المجاهدين في ساحة الحرب.

ها هو النصر قد تحقق، فأين روايتهم؟ وأين النجوم والأكاذيب المنمقة؟

ثم يبدأ الشاعر في وصف النصر والمعركة، فيقول: إنه فتح أكبر من أن تصفه القصائد المنظومة والخطب البليغة، فتح احتفلت به السماء والأرض، ففتحت السماء أبوابها وظهرت الأرض في أزهى ثيابها وزينتها، وقد عادت أماني العرب والمسلمين من عمورية وقد امتلأت بحلاوة النصر والظفر.

ويتوجه بخطابه إلى الخليفة فيقول: لقد تركت ياأمير المؤمنين في تلك المدينة المنيعة يوماً للنار تذل صخرها وخشبها وكل ما فيها، وغادرتها وليلها ضحى أو صبحاً من لهب، حتى ليخيل للرائي أن الليل قد عاف ثوبه الأسود، أو أن الشمس لم تغب. لقد امتزجت الظلمة والضوء والدخان في مشهد عجيب، فهنالك ضوء من النار في ظلمة مخيمة، وهنالك ظلمة من الدخان في ضوء شاحب، فالشمس مشرقة رغم غروبها، بل هي غاربة وغير غاربة في آن واحد!.

تحليل وتذوق

يخرج الشاعر عن المقدمة التقليدية، ويبدأ قصيدته بالحكمة ليثبت بالدليل العقلي أن القوة – المادية والروحية – هي التي تصنع الانتصارات بإذن الله، وليس مراعاة النجوم والأوهام..

يحشد الشاعر أدواته الفنية منذ البيت الأول، فالسيف يتحدث عن أصدق الأنباء في قوله: «السيف أصدق أنباءً» وهي استعارة مكنية تمجد السيف والقوة، وفي

قوله: « شهب الأرماح » تشبيه، أضاف المشبه به (شهب) إلى المشبه (الأرماح) ليعبر عن إعجابه بالرماح والبطولة، ويسخر من ادعاءات المنجمين وشهبهم التي تمدهم بالعلم الغيبي كما يزعمون. وقد زين أبياته بالجناس والطباق، فالجناس في قوله: (في حده الحد – الصفائح – الصحائف) والطباق بين (الجد – اللعب) و(بيض – سود)، وهذه المحسنات تقوي المعنى وتبرز التناقض الذي يريد الشاعر إبرازه بين منطق العقل وباطل الخرافة، بالإضافة إلى ما تضفيه من تأثير موسيقي.

والشاعر يستند إلى برهان ساطع بصدق مايقول، وهو النصر العظيم، لذلك جاءت الأساليب في الأبيات الثلاثة الأولى خبرية، في جمل اسمية تفيد الثبات. ثم ينتقل من الخبر إلى الإنشاء في البيت الرابع ليسوق ذلك الاستفهام الذي ينضح بالسخرية « أين الرواية ؟) وأكد ذلك باستفهام ثانٍ أشد سخرية وألذع تهكماً « أين النجوم ؟ »، وينميه إمعاناً في الاستهزاء « وماصاغوه من زخرف ومن كذب ».

وينتقل الشاعر –من البيت الخامس– إلى وصف الانتصار، ومدح الخليفة وتصوير حريق عمورية، فيسمي ذلك « فتح الفتوح » تعظيماً له، ويكني عن تلك العظمة بقوله: « تعالى أن يحيط به نظم من الشعر أو نثر من الخطب ». ويحمل البيت السادس لمسات فنية رائعة، ففي قوله: « فتح تفتح أبواب السماء له » كناية عن فرحة السماء، وفي ذلك إيحاء برضا الله وتأييده للخليفة وجيشه، وفي قوله: « وتبرز الأرض في أثوابها القشب » كناية –أيضاً– عن ابتهاج الأرض بمن فيها وما عليها، إنه احتفال كوني بالنصر، صوره الشاعر في هذين البيتين بأسلوب خبري يدل على اعتزازه بذلك الفتح، وفي غمرة هذا الاعتزاز ينتقل إلى الإنشاء، فينادي يوم النصر في بداية البيت السابع « يايوم وقعة عمورية »، وهو نداء يراد به التعظيم والفخر، ثم تأتي الاستعارة المكنية في قوله: « انصرفت عنك المنى حفلاً معسولة الحلب »، فقد جعل المنى نوقاً تمتلئ ضروعها باللبن المعسول، وهي صورة تشير إلى تحقيق الأماني وزيادة، كما توحي بأن عهد الخليفة المعتصم عهد خصب وخير .

وفي البيت الثامن ينادي« أمير المؤمنين » بغير أداة نداء لأن الخليفة قد أصبح قريباً من النفس يملأ القلب، ليصور لنا الخليفة وقد ترك النار تذل الصخر والخشب، وهي

استعارة مكنية توضح قدرة الخليفة وسلطانه وسطوته. ويشبه الليل بالضحى تشبيهاً بليغاً في البيت التاسع «غادرت فيها بهيم الليل وهوضحى»، وكذلك شبه اللهب بالصبح في قوله: «صبح من اللهب»، وبهذين التشبيهين صوّر لنا قوة النيران وضخامتها. ويتخيل لليل جلابيب سوداء في البيت العاشر، وجلابيب الليل هذه ترغب عن لونها فتستبدله، وفي هذا استعارة مكنية، وتشخيص للدجى حيث أسند فعل الرغبة إليه، ثم تشبيه للحريق بضوء الشمس...

وهكذا يورد في الأبيات الأربعة الأخيرة معنيين متقابلين هما النار والظلمة، ويحشد كل ألوانه الفنية من طباق وجناس ومقابلة معنوية ويمزجها مزجاً، ليصور ألوان الحريق وهي تمتزج بالظلمة الطبيعية، واللونان الأساسيان هما السواد والحمرة ومايتركب من امتزاجهما، فالفكرة الأساسية هي فكرة المقابلة والتضاد بين الألوان، واللوحة المرسومة لم تعد أرضية بل امتدت لتشمل الأرض والسماء وما بينهما.

والمحسنات البديعية في الأبيات لم تعترض سير المعاني، بل زادتها بهاء وسحرا، من مثل المقابلة (نظم – نثر) والطباق مثل (الليل – الصبح) (الضوء – الظلماء)، والجناس: (الأبواب – الأثواب)، وغير ذلك.

ومن هذا النص تتضح لنا براعة أبي تمام في اختياره للألفاظ، وقدرته على التصوير، وعمق المعاني، والاعتناء بالمحسنات.



أسئلة وتدريبات

١ – كيف اكتسب أبو تمام ثقافته الواسعة؟

٢ – ما اسم الكتاب الذي اشتهر أبو تمام بتأليفه؟

٣ – اذكر حادثة تدلل بها على أن أبا تمام كان حاضر البديهة.

٤ – يرتبط النص بحدث تاريخي. فما ذلك الحدث؟

٥ – ما الأفكار التي اشتمل عليها النص؟

٦ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

– كلمة (أمير) في البيت الثامن تعرب: (فاعل – مفعول به – منادى).

– أبو تمام كان زعيم مدرسة: (عمود الشعر – البديع – الشعر الحر).

– سمي الجيش بالخميس لأنه: (ينطلق عادة يوم الخميس – ينقسم إلى خمسة أقسام – يأخذ خمس الغنيمة).

– بين الصفائح والصحائف: (طباق – تورية – جناس).

٧ – ما المراد من الاستفهام في البيت الرابع؟

٨ – اشرح الأبيات الثلاثة، ثم وضح لماذا جاءت فيها الأساليب خبرية.

٩ – يعد مدح أبي تمام وثيقة تاريخية. وضح ذلك من خلال دراسة النص.

١٠– قرأ بعضهم كلمة (أنباء) في البيت الأول بكسر الهمزة ،هكذا: (السيف أصدق إنباءً)، فما أثر ذلك في المعنى؟

١١– استخرج من النص كناية واستعارة، ووضح أثر كل منهما في المعنى.

١٢– قارن بين البيت الثالث، وقول المتنبي:

ومَن طلبَ الفتحَ الجليلَ فإنما ... مفاتيحه البيضُ الخفافُ الصوارمُ

١٣– بِمَ تميز شعر أبي تمام كما تجد ذلك في هذا النص.

١٤– الكلمات (المؤمنين – ضوء – الظلماء) علّل سبب كتابة الهمزة فيها بهذه الكيفية.

وصـــف الربيـــع

لأبـي تـمـــــــام *

مناسبــــة النـــص

اشتهر غرض الوصف في العصر العباسي بين الشعراء، وتوسّعت مظاهره، فشمل كل مظهر من مظاهر الحياة العباسية من حدائق، وبساتين، وقصور، وأدوات الزينة، وغيرها، إلا أنّ مظاهر الطبيعة الجميلة كانت مصدر إلهام للشعراء في الوصف، ومن بينهم أبو تمام الذي صوَّر جمال الطبيعة في فصل الربيع أجمل تصوير، كما نرى في هذا النصّ الذي جاءت أبياته من بحر (الكامل) .

الـنـــــص

(١) رقّت حـواشي الدهرِ فـهي تَمَـرْمَـرُ	وغـــدا الثـــرى في حُلْيِـه يَتَكَسَّــرُ
(٢) مطرٌ يذوبُ الصَّـحْـوُ منه وبعـدَهُ	صَـحْــوٌ يكادُ من الغضــارة يُمطرُ
(٣) غـيـثـان : فـالأنواءُ غـيثٌ ظاهرٌ	لك وجـهُـهُ والصحـوُ غـيثٌ مُضْمَـرُ
(٤) ياصاحِبَيَّ تقصَّيَا نظريكما	تريا وجـوهَ الروضِ كـيف تُصَـوَّرُ
(٥) تريا نهاراً مشمساً قد شابَهُ	زهرُ الرُّبى فكأنما هو مُقْمِـرُ
(٦) من كـلِّ زاهرةٍ تَرقْـرَقُ بالندى	فكأنّما عينٌ إليك تَحـدَّرُ
(٧) تبدو ويحجبها الجميمُ كأنها	عـذراءُ تبـدو تارةً وتَخَـفَّرُ
(٨) حتّى غدت وهَدَاتُها ونِجَادُها	فـئتين في خِلَعِ الربيعِ تَبَـخْـتَـرُ
(٩) مُصْفَـرَّةً مُحْـمَـرَّةً فكأنها	عُصَبٌ تَيَمَّنُ في الوغى وتَمَضَّـرُ
(١٠) من فاقعٍ غضِّ النبـات كـأنَّه	دُرٌّ يُشَقَّقُ قبلُ .. ثم يُزَعْفَـرُ
(١١) أوساطعٍ في حُمرةٍ فكأنما	يدنو إليه من الهواء مُعَصْفَرُ
(١٢) صُنْعُ الذي لولا بدائعُ لطفِـهِ	ما عاد أصفرَ بعدَ إذْ هو أخْضَـرُ

* سبق التعريف بقائل النص ص ٢١ .

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

رقّت: نَعَمتْ، **حواشي الدهر**: أطرافه، والمعنى: صار الدهر رغداً، **تمرمر**: أصلها تتمرمر، أي تهتزّ وتتمايل، **حُلْيه**: الحُلي جمع حَلْي، وهي وسائل الزينة، **يتكسّر**: يتثنّى، **الغضارة**: النعمة والخصب والخضرة والطراوة، **الأنواء**: جمع نوءٍ وهو المطر، **تقصَّيا**: دقّقا، وتتبَّعَا، **تُصوّر**: تصير صوراً وأشكالاً، **شابه**: خالطه، **ترقرق**: أصلها تترقرق، وترقرق الدمعُ في العين: جال في باطن أجفانها، **تحدّر**: أصلها تتحدّر، والمعنى: تنزل الدمعة منها، **الجميم**: النبات الكثيف الذي يغطّي وجه الأرض، **تخفَّرُ**: أصلها تتخفّر، والمعنى: تستحيي، **تَيمَّنُ**: أصلها تتيمّن أي تنسب إلى اليمن، **تمضَّرُ**: أصلها تتمضَّر، أي تنسب إلى قبيلة مُضَر، **يُشَقق**: يتخذُ لوناً يشبه لون الشقيق، وهو نوع من الزهر الأحمر، **يزعفر**: يتخذ لون الزعفران الأصفر، **المعصفر**: المصبوغ بالأصفر.

إضـــــاءة

يصف الشاعر الربيع وآثاره الآسرة في هذه الأبيات التي تدور حول ثلاث فكر:

- مشاهداته لأجواء الربيع (في الأبيات (١–٣).
- مشاهداته مع صاحبيه للرياض وما صنع بها الربيع (٤–١١).
- كل تلك المظاهر من صنع الله (١٢) .

فيقول: نَعُمت أطراف الدهر وجوانبه حتّى غدت تتمايل في مشيتها رغداً، وغدا الثرى في أثوابه الزاهية، يتثّنى اختيالاً ودلالاً ، وأصبح الجوُّ يتقلّب بين جوٍّ ممطر يُذيب الصحوَ ، وصحوٍ لطيف يكاد من طراوته أن يمطر، فهما غيثان: غيث ظاهر وغيث خفي.

ثم يخاطب الشاعر صاحبيه ليشاركاه في الإحساس بجمال هذه المناظر الممتعة، حيث يقول: أيها الصاحبان أمعنا النظر لتبصرا الجمال في وجوه الرياض كيف يصوّر!! وستشاهدان النهار المشمس قد امتزج به زهر الربى، وكأنّ الجوّ مقمر وليس مشمسا، وستريان قطرات الندى المتموجة في كاسات الزهور، وكأن كل واحدة منها عين يموج فيها دمع الفرح والابتهاج، وستشاهدان الزهرة وهي تظهر وتختفي خلف

النباتات والحشائش التي تغطّي وجه الأرض ، وكأنها فتاة عذراء تُظهر وجهها، فإذا مارأت أحداً احتجبت حياء وخجلاً، وقد ظهرت الأرض بأماكنها المنخفضة والمرتفعة وقد كساها الربيع لونين من الثياب ، كل مجموعة تلبس لوناً، وكأن وجه الأرض عصبتان مقاتلتان: إحداهما تنسب إلى اليمن تحمل الرايات الصفراء، والثانية تنسب إلى قبيلة مضر تحمل الرايات ذات اللون الأحمر ، وهاتان المجموعتان من الزهور: الصفراء والحمراء تشعر أن بينهما امتزاجاً وتكاملاً عجيباً، فالمجموعة الصفراء فاقعة اللون طرية النبات تشبه درّايلبس الأحمر ثم الأصفر، والمجموعة الحمراء ساطعة الحمرة يشوبها شيء من الصفرة، وكأن اللون الأحمر قد تظلّل بلون أصفر ؛ وذلك لما بين اللونين –في المجموعتين– من تداخل وتشابك في العرض .

إن ذلك المشهد الرائع جدير بالتأمل، فهو صنع الله الذي لولا قدرته النافذة في هذه الحياة ما فنيت هذه المناظر الجذابة، فهو الذي أبدعها، وهو الذي يذهب بها، ثم يعيدها متى شاء – سبحانه وتعالى – قال عز وجل:

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[1].

تحليل وتذوق

أبيات النصّ تعطي فكرة واضحة عن القدرة الشاعرية لأبي تمام، وتمكّنه من ناصية اللغة، وعن خياله الخصب العميق الظلال، وعن مشاعره المتدفقة التي تنفعل بما تراه من مظاهر الحسن، وروعة الجمال التي أودعها الله في الطبيعة من خلال وصفه للربيع في هذا النصّ .

ففي الأبيات الثلاثة الأولى التي يصف الشاعر فيها الجوّ العام للنفوس والطبيعة والصحو والمطر يختار لها ألفاظاً وصوراً جميلة متلائمة مع الربيع وبهجته . فالألفاظ مثلاً :(رقّت – حواشي– تمرمر– حليه – يتكسَّر– يذوب– الغضارة– غيث– وجهه– مضمر) رقيقة متحركة اختيرت بعناية لتؤدي دورها في النصّ من إثارة البهجة، بِرقّة ألفاظها ، ورشاقة معانيها، ونقل المشهد بمشاعر متفاعلة فياضة.

(١) الروم آية :٢٧

أما الصور الجميلة ففي البيت الأول « رقّت حواشي الدهر » أسند الرقة إلى حواشي الدهر حيث شبّه الدهر بثوب له حواش مطرَّزةٌ ناعمة، فحذف المشبه به وهو الثوب ، وأبقى شيئًا من لوازمه وهي الحواشي الرقيقة، ثم وصفها بقوله :« فهي تمرمَرُ »وهي صورة أخرى لحواشي الدهر حيث شبَّهها بفتاة تتمايل دلالاً وبهجةً، ثم حذف المشبه به (الفتاة) وأبقى صفة من صفاتها وهي التمايل، وهاتان الصورتان من باب الاستعارة المكنية. والشطر الأول في هذا البيت كناية عن رغد العيش في حياة الناس. أما قوله: « وغدا الثرى في حُليه يتكسر » ففيه استعارة مكنية أيضاً حيث شبه الثرى (وجه الأرض) وقد اخضرّت أشجاره وتحركت أغصانه وتنوعت أزهاره بفتاة لبست حُليَّها ومضت تتثنى في مشيتها دلالاً، ثم حذف المشبه به، وأبقى لبْسَ الحليّ والتثنِّي في المشي اللذين هما من لوازم الفتاة. ولايخفى مافي هذه الصور من روعة، إذ جعلت المشهد متحركاً مبتهجاً، وجعلتنا نتفاعل معه في هذا الابتهاج.

في البيتين : الثاني والثالث توسّع الشاعر في وصف الجوّ وتقلّباته بما يسمّى الإطناب إذ كان يكفيه أن يقول :(الجو عندنا متقلّب بين مطر وصحو)، ولكنه شرح هذا المعنى بتوسُّع وإطناب ؛ وذلك لإحساسه العميق، وتفاعله المتواصل، وتمتّعه بكل من الصحو والمطر، وركّز على المطر كونه هو السبب في هذه المشاهد البهيجة، فالجو إما ممطر أو يكاد أن يمطر، وتكرار لفظي الصحو والمطر يدل على قربهما من نفسه بدرجة واحدة، وتنكيرهما يدل على كثرة التّردد، وتكرار كلمة الغيث في البيت الثالث ثلاث مرات يدّل على حبِّه إياه، ومكانته من نفسه، وعلى ثقافته الإسلامية، إذ الماء غيث للأرض وما عليها ومَن عليها.

ومن أجمل الكلمات الواردة في هذين البيتين كلمة (الغضارة) التي وصف بها الجوّ الذي يحمل المطر، وتحته أرض قد لبست أبهى حلل الربيع؛ فهذه الكلمة تكاد تقطر ماءً وخضرةً من خلال لفظها ومدلولها؛ حيث جاءت مصوّرة للمعنى المراد :(رقّة الجوّ ولطافة النسيم ، وخضرة الأرض)بحروفها الخضراء الندية، ومدلولها الرقيق الأخضر الرطيب العميق.

وفي البيت الرابع استخدم الشاعر الأسلوب الإنشائي « ياصاحبيَّ » وهو نداء قُصد به الحث على اغتنام الفرصة بالتمتُّع والتأمل في المشاهد الجميلة.

وهذا الشطر « ياصاحبَيّ تقصَّيا نظريكما » أخذه الشاعر من زهير بن أبي سلمى مما يدل على ثقافته بشعر من سبقه، ومخاطبة المثنى أسلوب شعري متّبع عند كثير من الشعراء القدامى، ومن جاء بعدهم.

وفي البيت الخامس تشبيه شعاع الشمس الباهت المرسل إلى الروابي الخضراء التي يعلو أشجارها الزهور المختلفة بضوء القمر مع سواد الليل ونجومه، وهي صورة رائعة وضّحت المشهد الربيعي البهيج تحت أشعة الشمس بشكل بديع.

في البيت السادس كلمة « ترقرق » صوّر بها الشاعر تموّج قطرة الندى في الزهرة؛ حيث شبه الزهرة بالعين التي يترقرق فيها الدمع على سبيل الاستعارة المكنية، ثم عاد في الشطر الثاني ليشبه القطرة بالدمعة المتحدّرة من العين، ليرسم بذلك حركة قطرات الندى، وهي حركة دقيقة تدل على دقة ملاحظة الشاعر ودقة تصويره.

وفي البيت السابع تشبيه الزهرة التي تظهر وتختفي مع حركة الرياح بفتاة عذراء تبدو بوجهها، ثم تختفي خجلاً ممن يراها، وهي صورة أعطت المعنى حركة وحيوية.

وفي البيتين الثامن والتاسع يرسم الشاعر مشهداً عاماً لما على الأرض من خضرة وزينة، ويجعل ذلك بحسب الألوان فئتين: صفراء وحمراء، ثم شبّه كلاً من الفئتين بعصبة مقاتلة وفق لون الرايات التي تحملها كل عصبة.

ثم عاد الشاعر في البيتين العاشر والحادي عشر ليبيّن ببراعة عالية مدى الامتزاج والتناسب بين لوني الفئتين: الأصفر والأحمر: فالفئة ذات اللون الأصفر تشبه الدّر المتلألئ الذي يلبس حلة حمراء، ثم يسكب عليها لوناً أصفر، فهي حمراء يغلب عليها اللون الأصفر، والفئة الثانية تلبس الأحمر –أيضاً– وتتظلّل بالأصفر، فيظهر نوع من الألوان المختلفة عن أصل كل منها. والشاعر يصور هذه الحركة التبادلية المتناسبة بين الألوان التي تحلّى بها وجه الأرض في الربيع إنما ليوحي أن هناك إرادة مبدعةً أتقنت هذه اللوحة الكونية الرائعة بمقادير متناسبة لايطغى بعضها على بعض لتؤدي منظراًتشكيليّاً عاماً جميلاً في شكله ولونه وظلاله، وهو ما أشار إليه في البيت الأخير:« صنع الذي لولا بدائع لطفه »، وفيه أيضاً إشارة إلى حقيقة أزلية كونية هي أن الحياة لاتدوم على حال، وإنما تتجدّد باستمرار. وقد استخدم الشاعر المنطق في معرفة هذه الحقيقة: فلولم يكن ذلك ناتجاً عن إرادة الله وفعله لبقيت على حال واحدة، ولما تحوّل الأخضر إلى أصفر، والأصفر إلى أخضر.

أسئلة وتدريبات

١– تناول الشعراء كثيراً من مظاهر الحياة في العصر العباسي بالوصف ، اذكر ثلاثة مظاهر مما كان يوصف في ذلك العصر.

٢– لم قال الشاعر في مطلع القصيدة:

« رقت حواشي الدهر » ولم يقل: (رقّت حواشي الروض)؟

٣– بم توحي الكلمات الآتية: (حليه ، يتكسّر ، زاهرة ، ترقرق)؟

٤– ما الصور الخيالية في قوله: (حواشي الدهر ، يتكسّر ، درٌّ، يشقّق)

٥– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

أ – « ياصاحبيَّ» هذا الأسلوب:(إنشائي – خبري – تعجّبي).

ب– تسود النصَّ عاطفة: (الشوق والحنين – الحب واللوعة – السرور والبهجة).

جـ– كلمة (تيمَّنُ) معناها: تبدأ باليمين – تنسب إلى اليمن – تمشي جهة اليمن).

د– الأفعال الواردة في النصّ: (تحدّرُ – تمضّرُ – تبختر) جاءت: (ماضية– مضارعة – أمر).

هـ– المراد بقوله: (فئتين) مجموعتان من:(الألوان – الأشكال – الناس).

و – الصورة البلاغية في قوله: « فكأنما هو مقمر»: (استعارة – كناية– تشبيه).

ز – كلمة (تبدو) على وزن: (تفعو – تفعُلُ – تَعِلُ).

ح– الاسم « معصفرُ» جاء مرفوعاً لأنه (مبتدأ – فاعل – خبر).

ط – الفعل (يكاد) يدل على (المقاربة – الشروع – الرجاء) .

٦– مطر يذوب الصحو منه وبعده صحو يكاد من الغضارة يمطر

البيت السابق من أجمل الأبيات في النصّ . لماذا؟

٧– علام يدل ذكر الغيث ثلاث مرات في البيت الثالث؟

٨– اشرح البيت السادس موضحاً الصورة البلاغية فيه، وأثرها في المعنى .

٩– قارن بين البيتين الآتيين كمطلعين لقصيدتين في وصف الربيع ، موضحاً إلى أي مدى كان أحدهما أبلغ من الآخر، مع التعليل:

قال أبو تمام :

رقّت حواشي الدهر فهي تمرمَرُ وغدا الثرى في حُلْيه يتكسَّرُ

قال صفي الدين الحلّي :

خلع الربيعُ على غصون البانِ حللاً فواضلُها على الكُثْبانِ

١٠– كلمة (بدائع) كتبت الهمزة فيها على ياء لأنها : (مكسورة – ما بعدها مضوم – ما قبلها ساكن).

في الزهـــد

لأبي العـــتـــاهيـــة

التعريف بالشاعر

هو إسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان، وكنيته أبو إسحاق، ولد بالحجاز سنة ١٣٠هـ ، ونشأ في الكوفة فقير الحال يساعد أباه في بيع الجِرَار. وأصل جده كيسان من نصارى (عين تمر) وهي مدينة بالحجاز.

ويعد أبو العتاهية شاعر الزهد في هذا العصر ، يمتلك شاعرية فياضة وقدرة على النظم بعفوية ، مما قرب شعره من الناس كافة . طرق أبواب الشعر فأجاد، وأحسن مدائحه في المهدي والرشيد، إلا أن تفوقه إنما كان في الحكم وضرب الأمثال.

بدأ يقول الشعر على سجيته متنقلاً في شوارع الكوفة ، ولما سمع به متأدبو الكوفة قصدوه يستنشدونه فينشدهم أشعاره ويدونونها، حتى ذاع صيته وانتقل إلى مجالس الشعراء، ثم انتقل إلى بغداد حاضرة العلم والأدب في أول خلافة المهدي، ومدحه فحظي لديه.

أحب إحدى جواري زوجة المهدي تسمى (عتبة) وأخلص لها، وقال فيها أجمل ما قال في الغزل، إلا أنها كانت تبغضه وتصده.

عرف عنه حرصه على المال، وحبه للمعرفة التي نهل من ينابيعها وما أكثرها في عصره! وكان قد جرفه تيار المجون .. ولكنه ندم ، وعاد إلى الله مستسلماً منيباً.

يقول:

إلهي لاتعـــذبني فـــإني ... مـــقـــرٌ بالذي قـــد كـــان مني

ومـــالي حـــيلةٌ إلا رجـــائي ... وعفوُك إن عفوتَ وحسنُ ظني

فكم من زلةٍ لي في الخطايا ... وأنت عليّ ذو فـــضـــلٍ ومنٍّ

إذا فكرتُ في ندمي عليـــهـــا ... عـــضـــضتُ أناملي وقرعتُ سني

فلم يأتِ عصر الرشيد حتى كان أبو العتاهية قد أخذ في التزهد، وقصر شعره على التزهيد في الدنيا والتذكير بالموت. ولم تزل تلك حاله، مدة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون، حتى وافاه الأجل.

يقول المؤرخون إنه قال في أرجوزة واحدة –وهي المسماة بـ (ذات الأمثال)– أربعة آلاف بيت (لم يبقَ منها سوى خمسين بيتاً ونيف) ومنها قوله:

إن الشبابَ والفراغَ والجدهْ مفسدةٌ للمرء أيّ مفسدهْ

توفي عام ٢١١هـ وله ديوان شعر مطبوع ، منه النص الآتي من البحر الكامل.

النص

(١) يانفسُ قد أَزِفَ الرحيلْ وأظلَّك الخطبُ الجليلْ
(٢) فتأهَّبي يانفسُ، لا يلعبْ بكِ الأملُ الطويلْ
(٣) فلَتَنْزِلَنَّ بمنزلٍ يَنْسى الخليلَ به الخليلْ
(٤) ولَيَرْكَبَنَّ عليك فيه من الثَّرى ثُقْلٌ ثقيلْ
(٥) قُرِنَ الفناءُ بنا ، فما يبقَى العزيزُ ولا الذليلْ
(٦) إني أُعيذُك أن يميلَ بكِ الهوى فيمن يميلْ
(٧) والموت آخرُ علَّةٍ يعتلُّها البدنُ العليلْ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

أزف الرحيل: اقترب وقته ، **تأهبي**: استعدي ، **الخطب الجليل**: يعني الموت، **قُرن الفناء بنا**: لازمنا.

إضاءة

يخاطب الشاعر نفسه فيقول في هذه الأبيات التي تتضمن فكرة واحدة وهي (العزوف عن الدنيا): لقد حان وقت رحيلك عن هذه الدنيا، وهاهو الموت يدنو منك، فلتستعدي لملاقاة ربك، ولاتدعي الأمل الخادع يلعب بك.

إنك ستنزلين وحدك في قبرك وسينساك جميع الأخلاء والأصدقاء وسيُهال عليكِ التراب الثقيل المتراكم، ثم يذكّر أن الموت نهاية كل إنسان، لافرق في ذلك بين العزيز والذليل. ويعود مخاطباً نفسه فيقول: إن الهوى يغوي الكثيرين، وإني أدعو الله ألاّ يغويك كغيرك. والموت آخر مايصيب هذا البدن الذي يعاني من الأمراض والعلل طوال حياته، ثم تجازى كل نفس بما قدمت.

تحليل وتذوق

تنساب الأبيات في هدوء ويسر كما هو حال شعره كله، فتأتي الصور والمحسنات عفو الخاطر، كما في قوله في البيت الأول: (وأظلك الخطب)، فهي استعارة مكنية توحي بدنو الخطب والموت الوشيك، وكذا الاستعارة المكنية في البيت الثاني (لايلعب بك الأمل) حيث شبه الأمل بالإنسان، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو (اللعب) وفي ذلك إشارة إلى ضعف النفس التي تستسلم للأمل يلعب بها. ويكني عن القبر بالمنزل في قوله: (فلتنزلن بمنزل) في البيت الثالث، وفي ذلك تنبيه إلى النهاية الحتمية وهي الموت. ومن المحسنات التي ترد، المطابقة في البيت الخامس بين (العزيز والذليل) لتقوي المعنى وتزيد في التأثير الموسيقي.

وقد أكثر الشاعر من استخدام أسلوب الإنشاء الطلبي كالنداء والأمر، كقوله: (يانفس) وهو أسلوب نداء يستدعي مطلوباً غير حاصل وقت الطلب، ذلك أن الشاعر يرى في نفسه (ونفوس السامعين) الغفلة، فيطلب منها أن تتنبه. وقد جاءت كلمة (نفس) نكرة فلم يقل (يانفسي)، واستخدم أداة نداء البعيد(يا) ليوحي بغفلة هذه النفس وبعدها عن العقل.

ومن أساليب الإنشاء الطلبي الأمر كما في قوله:(فتأهبي)، والنهي في قوله: (لايلعب بك) . ولأن النفس نزاعة إلى اللهو متناسية مصيرها فقد أنزلها منزلة المُنكِر، فأكثر من المؤكدات مثل:

قد – لتنزلن – ليركبن – إني .. فنفسه بتصرفها وغفلتها كالمُنكِرة، لتماديها في غفلتها والإعراض عن العمل والاستعداد لما بعد الموت.

أسئلة وتدريبات

١ – لِمَ كان شعر أبي العتاهية قريباً من الناس كافة ؟

٢ – بِمَ تفوق أبو العتاهية في شعره ؟

٣ – ما الذي دفعه إلى الزهد في نظرك؟

٤ – **فتأهبي يانفس لا يلعب بك الأمل الطويل**

أ – ما نوع الأسلوب في البيت؟

ب– وضح الصورة التي في البيت ؟

جـ– ماذا أفادت كلمة (الطويل) في توضيح المعنى؟

٥ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس :

– معنى كلمة (أزف) : (حان – أسرع – تأخر)

– كلمة (تأهبي) فعل أمر مبني على :(السكون – حذف حرف العلة – حذف النون).

– النون في قوله: (فلتتنزلن) هي: (نون التوكيد – علامة رفع المضارع – نون النسوة).

– يقصد الشاعر بالمنزل في قوله: (ولتنزلن بمنزل) : (الجنة – جسم الإنسان – القبر).

٦ – يقول الشاعر في البيت الخامس :

قُرن الفناءُ بنا فما يبقى العزيزُ ولا الذليل

ويقول شاعر آخر :

العمر مثل الضَّيفِ أو كالطيف ليس له إقامة

قارن بين البيتين من حيث المعنى، مبيناً رأيك فيهما.

٧– اشرح البيت السادس شرحاً أدبياً، ثم وضح الصورة فيه.

٨– ما الغرض من النداء في البيت الأول ؟ والأمر في البيت الثاني؟

٩– بم تعلل كثرة المؤكدات في النص؟

وصف إيوان كسرى

للبحتري

التعريف بالشاعر

هوأبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحتري، ولد بناحية منبج بالشام عام ٢٠٦هـ الموافق ٨٢١م، وتنقَّلَ في قبائل طيِّئ وغيرها من قبائل البدو الضاربة في شواطئ الفرات، فغلبت عليه فصاحة العرب.

شاعر كبير يقال لشعره: (سلاسل الذهب)، وهو أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبِّي، وأبي تمّام، والبحتري. قيل لأبي العلاء المعرّى: أيّ الثلاثة أشعر؟ فقال: المتنبِّي، وأبو تمّام حكيمان، وإنما الشاعر البحتري.

وقال الآمدي في الموازنة بين الطائيِّين: «البحتري أعرابي الشعر مطبوع، وعلى مذهب الأوائل، ما فارق عمود الشعر قطّ، كان يتجنّب التعقيد، ومستكره الألفاظ، ووحشيّ الكلام.» وقال ابن رشيق: أما البحتري فكان أملح صنعةً وأحسن مذهباً في الكلام، مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ، لايظهر عليه كلفة أو مشقة.

وقال عنه ابن الأثير: إنّ مكانه بين الشعراء لايُجهل، وشعره هو السهل الممتنع الذي تراه كالشمس قريباً ضوؤها بعيداً مكانها.

وهذه الأقوال كلها تبيِّن مكانة الشاعر المرموقة، وطريقته البارعة، ومذهبه المتميِّز في الشعر، الذي يمكن إيجازه في:

- تجنب المعاني الغامضة، ورفض الإسهاب والتعقيد.
- محاكاة الأقدمين في الصياغة الشعرية.
- تخيُّر اللفظ السهل الملائم والمعاني.
- الرقة والعذوبة في الألفاظ والمعاني.
- يمتاز شعره، بحسن الخيال، وجودة الوصف، والرثاء، والغزل والمديح.
- يتزعّم البحتري مدرسة الطبع في عصره التي تقابل مدرسة الصنعة.

ومما حاكى فيه شاعرنا البحتري الأقدمين من حيث المضمون قوله:

أعطيتني حتى حسبت جزيل ما أعطيتنيه وديعةً لم توهبِ

محاكياً الفرزدق حيث يقول :

أعطاني المالَ حتى قلت يودعني أو قلت : أُعطيت مالاً قد رآه لنا

توفي سنة ٢٨٤هـ الموافق ٨٩٨م رحمه الله. وهذا النص من بحر (الخفيف).

النص

(١) **صَنتَ نفسي عمّا يُدنِّسُ نفسي وترفّعتُ عن جَدَا كلِّ جِبْسِ**

(٢) **وتماسكتُ حين زَعْزَعَني الدّهـ.. رُ التماسًا منه لتَعسي ونُكْسي**

(٣) **حضَرتْ رحْلي الهمومُ فوجّهـ. تُ إلى أبيضِ المدائنِ عَنْسي**

(٤) **فكأنَّ الجرمازَ من عدمِ الأُنـ.. سِ وإخلاقه بَنيَّةُ رَمْسِ**

(٥) **وإذا ما رأيتَ صورةَ أنطا.. كيَّةَ ارتعتَ بين رومٍ وفُرسِ**

(٦) **والمنايا مَواثِلٌ وأنُوشَرْ.. وانَ يُزجي الصُّفوفَ تحتَ الدِّرَفْسِ**

(٧) **وعِراكُ الرجالِ بين يديه في خُفُوتٍ منهم وإغماضِ جَرْسِ**

(٨) **تصفُ العينُ أنهم جِدُّ أحيا.. ءِ لهم بينَهُم إشارةُ خُرسِ**

(٩) **يغتلي فيهِمُ ارتيابي حتَّى تَتَقَرَّاهُمُ يداي بلَمْسِ**

(١٠) **ليس يُدْرَى أصُنعُ إنسٍ لجِنٍّ سكنوه أم صُنعُ جِنٍّ لإنْسِ**

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الإيوان: المكان المتّسع من البيت تحيط به ثلاثة جدران، والمراد هنا القصر كلّه، **صنت**: حفظت، **الجَدَا**: العطاء، **الجِبْس**: الجبان اللئيم، **تماسكتُ**: تجلدتُ وصبرتُ، **التماساً**: طلباً، **التَّعس**: التعاسة والشقاء، **النُّكْس**: الانتكاس وهو الانحدار إلى الأسوأ، **حضرت**: الفعل حضر هنا متعدٍّ لأنه جاء بمعنى: حلّت وسكنت، **أبيض المدائن**: قصر المدائن الأبيض. والمدائن: عاصمة دَولة فارس وتقع شرقي بغداد، **عَنْسي**: وردت بضمِّ العين وفتحها، فعلى الفتح الناقة السمينة، وعلى الضمِّ هي

الجمعِ، **الجرماز**: أحد القصور التي صارت أطلالاً، **الإخلاق**:البِلى والقدَم، **البَنيّة**: البناء، والمراد القبر المتهدِّم المساوي للأرض، **صورة أنطاكيةَ**: صورة مرسومة على جدار القصر لمعركة دارت بين الروم والفرس، **ارتعتَ**: فزعت، **مواثل**: جمع ماثلة، وهي الظاهرة للعين، **أنو شروان**: لقب أحد ملوك الفرس، **يُزجي**: يدفع ويحث، **الدِّرفَس**: كلمة فارسية معناها العَلَم الكبير، **خفوت**: انخفاض الصوت، ومعناها هنا: السكوت، **الجرس**: الصوت، **يغتلي**: يزداد، **تتقرّاهم**: تَمُرُّ وتتحسّس رسمهم على الجدار.

إضـــاءة

تدور أبيات النصّ حول ثلاث فكر:

١- ترفّع وثبات (١ – ٢).

٢- تسرية الهموم بالرحلة (٣) .

٣- وصف صورة مرسومة على جدار الإيوان (٤ – ١٠).

يقول البحتري فيها:

إن من شيمي أنني أحفظ نفسي عما يدنسها، وأبتعد عن عطاء الجبان اللئيم، وأن من طباعي التي أعتزّ بها –كذلك– أنني أصبر أمام حوادث الزمن التي تسعى إلى إتعابي وشقائي، والنيل من مكانتي، فلا ألين أمامها –حفاظاً على كرامتي– وإنما أعالجها بما يناسبها، ومن ذلك أنني عندما اشتدت عليَّ الهموم والأحزان توجّهت بناقتي إلى منطقة أثرية –هي المدائن– لأقف أمام آثار الدولة الساسانية الغابرة، ومنها قصر أنوشروان الأبيض، للاتعاظ والاعتبار بمن سبق، ولأسرِّي عن نفسي ما أصابها من هموم. ويالعجب ما رأيت! لقد صار ذلك القصر أشبه بالقبر المتهدِّم، غير أنك لو شاهدت صورة أنطاكية مرسومة على الجدار لأصابك الرعب من هيبة الموقف، إذ إنها توضّح معركة حاسمة بين دولتي فارس والروم، ومن خلال ذلك المشهد للمعركة تشعر أن الموت واقف على جانبي المعركة يتربّص، وقائد الفرس يحث فرسانه على الثبات والجَلَد، والالتفاف حول رايتهم، والفرسان يتصارعون بين يديه لاتسمع منهم صوتاً، أو تلحظ لهم حركة، وإنما هي المواجهة الصامتة، ولقد خُيلَ إليّ أنهم أحياءٌ حقيقة غير أنهم لايتكلّمون؛ لأنهم استخدموا –فيما بينهم– إشارات الخرس، وحركاتهم، مما جعل الشك يضطرب في صدري معتقداً أنهم شخوص مجسّمة متحركة، فأبادر إلى

تلمّسهم بيدَيَّ للتأكّد مما كان يعتلج في نفسي، إنه مشهد رائع مهيب، قد رُسِم بعناية فائقة، لايدري الإنسان أهو صنع بشري يسكنه الجنّ، أم هو إبداع الجنِّ وإتقانهم قدموه لإخوانهم الإنس .

تحليل وتذوق

بدأ الشاعر هذا النصّ ببيتين يشيد فيهما بنفسه، وما تتمتّع به من صفات من أهمِّها:

حفظ النفس عن الدنايا، وعدم الخضوع لأي لئيم، والثبات على المبدأ مهما كانت الظروف ليوحي بذلك –في مقدمة قصيدته– أن الحياة زائلة، وأنها لاخير فيها إذا لم تقم على مبادئ وقيم، فكان استهلالاً بارعاً ؛ حيث جاء موضوع القصيدة (وصف إيوان كسرى) مؤكداً هذه الحقائق، أما الجانب الصوتي الإيقاعي فقداستهل قصيدته السينية باختيار ألفاظ تُشيع صوت السين، وتحيل الجوّ إلى موسيقا صفيرية سواء بواسطة السين أو غيرها من حروف الصفير مثل: (صنت – نفسي – يدنس – جبس – تماسكت – زعزعني – التماساً – تعسي – نُكْسي) فكانت مقدمة موفقة للقصيدة؛ لما تحمله من مثيرات صوتية، ذات تأثير في النفس، وإيقاظ للشعور بتتابع أجراسها كتهيئة مناسبة.

ومن أجمل ذلك مافي الشطر الأول للبيت الأول من صوت هامس راقص « صنتْ نفسي عما يدنس نفسي » يطرب النفس ويحرك ساكنها، وتكرار كلمة (نفس) للتأكيد على أهمية المحافظة عليها.

والتعبير بقوله: (تماسكت) يوحي بالتكلّف في الفعل، وأنه كاد أن ينهار أمام الأحداث لولا تماسكه. وقوله: (زعزعني) يوحي بشدّة الفعل وكثرةالمحاولة من قبل الدهر، مثل: زلزل – جرجر، وفيه استعارة مكنية حيث شبه الدهر بإنسان، ثم حذف المشبه به، وأبقى شيئاً من لوازمه وهي الزعزعة. والاستعارة هنا جسّدت التكرار والشدة في المعنى.

في البيت الثالث استعارة مكنية –كذلك– في قوله: « حضرت رحلي الهموم » وقد صورت الهموم بمن يحضر ويغيب بإرادته فأبرزت توارد الهموم ونزولها بحضور مرئي محسوس.

والبيت فيه توجيه بأهمية الرحلة في تفريج الكرب أو التنزُّه، ولاسيّما في التأمل والاعتبار بالسابقين.

أما الأبيات السبعة الأخيرة ففيها وصف للقصر المتهدِّم، ثم وصف للمشهد

المرسوم على جدار الإيوان الذي يحكي معركة بين فارس والروم، وهو موضوع النصّ، وقد صوّرالشاعر فيها المشهد تصويرا دقيقاً استطاع أن يشخّص ذلك كما لو كان تصويراً حيًّا للمعركة وليس لصورتها.

مثل قوله في البيت الخامس: «ارتعت بين روم وفرس» حيث انتقل بنا من مجرّد رؤية الصورة لموقعة أنطاكية إلى موقع المعركة ذاتها،حيث الروع والفزع بين جهتين متقاتلتين، يتوقّع أن يأتي الموت من إحداهما، أو منهما معاً في أيّة لحظة، ثم يستمر في البيتين: السادس والسابع بنَفَسٍ متواصل ليرسم أبرز الحركات والشخوص في المعركة بصور وعبارات متحركة شاخصة مثل: (والمنايا مواثل –يزجي الصفوف– وعراك الرجال– في خفوت – إغماض) جعلت المشهد متحركاً مهيباً مجسَّداً أمام البصيرة والخيال، وذلك من شأنه أنه يجعل المشاعر تتفاعل معه في تتبّع الأحداث، وإدراك المقاصد.

وفي قوله: «والمنايا مواثل» استعارة مكنية أبرزت الموت في صورة شخوص حاضرين للعيان بسبب كثرة أسبابه، وهو تشخيص يثير الرهبة في النفوس من هيبة الموقف.

في البيت الثامن: «تصف العين» أسند الوصف إلى العين مع أنها تبصر ولا تصف، فكان التعبير جميلاً، وهو يوحي ببراعة الرسم، ودقة الصورة مما جعل العين تتخيّل أنهم أحياء، ثم ختم البيت بأجمل عبارة –تدل على صدق تأثره– بقوله: «لهم بينهم إشارة خرسِ » ليؤكد ماتأكد لديه من أن المقاتلين أحياء –بحسب وصف العين– وإنما قد امتنعوا عن الأصوات، واكتفوا بإشارات صامتة كإشارات الخرس لتسير المعركة في صمت دون ضوضاء أو جلبة.

وفي البيت التاسع قوله:«يغتلي فيهم ارتيابي» يبين مدى الاضطراب والغليان في نفسية الشاعر، ليبرهن على صدق ما أورده من وصف، وأن المشهد مهيب ومثير وبارز، حتى جعله يغلّب الظنّ أنهم أحياء، ولم يكشف هذا الظن إلا لمسُهُ بيده على الرسم، وهو دليل عقلي يوضّح مدى مصداقية الشاعر في تأثُّره بالمشهد وواقعية وصفه إياه.

وهكذا ظهرت براعة الشاعر البحتري في إنطاق صورة المعركة بشكل دقيق ومؤثر. والأصل أن تكون صورة الواقع أوضح من صورة الصورة، لكنْ أن تكون صورة الصورة أكثر دقةً وتأثيراً فذلك مالايستطيعه أي مبدع إلا من بلغ درجة البحتري.

ثم يتوج صدق دهشته بتلك الصورة المهيبة للمعركة على جدار الإيوان باستفهام حولها: أهي صناعة إنس أتقنوها لتكون مسكناً لإخوانهم الجن، أم هي من إبداع الجن؟ وذكر الجن في الحالتين يوحي بالحيرة والاندهاش.

أسئلة وتدريبات

١ – بم سمّي شعر البحتري ؟ وماذا قال فيه المعري؟

٢ – اذكر ميزتين يتميز بهما شعر البحتري.

٣ – ما علاقة القيم التي يفخر بها الشاعر بموضوع القصيدة ؟

٤ – متى توجّه الشاعر بناقته إلى المدائن؟

٥ – يقال: إن مطلع القصيدة مناسب من حيث اللفظ والمعنى، وضح ذلك.

٦ – ما الصورة البلاغية في قوله :

« حضرت رحلي الهموم » وقوله : والمنايا مواثل »؟

٧ – بم توحي الكلمات :

(تماسكت – زعزعني – يغتلي)؟

٨ – في البيت الرابع تشبيه، حدّد المشبه، والمشبه به، ووجه الشبه، والأداة.

٩ – ما الفرق بين (عراك– قتال) في تصوير المعنى؟

١٠– اختر الإجابة المناسبة من بين الأقواس فيما يأتي :

أ – هذه القصيدة وصف لـ :(معركة – صورة معركة – تمثيل معركة).

ب– كلمة الدرفس معناها: (المظلة – الخيمة – العلم).

جـ– الاسم (بنيّةُ)في البيت الرابع جاء مرفوعاً لأنه (فاعل – مبتدأ – خبر).

د– كلمة (مواثل) على وزن: (فواعل – مفاعل فعالل).

هـ– عبارة «إشارة خرس» تدل على أن المقاتلين :(مرهقون – نائمون – التزموا الصمت).

١١– ما القيمة الفنية لقوله: «إغماض جرس»؟

١٢– ما الحركة التي قام بها الشاعر للتأكد من وضع المقاتلين؟ وأين تجد ذلك؟

١٣– انثر البيت الخامس موضحاً ما فيه من صور جميلة .

١٤– وقف كثير من الشعراء أمام الأطلال وآثار الديار، فإلى أي مدى يرتبط ذلك بوقوف البحتري في هذا النصّ؟

١٥– كلمة (مدائن) تشبه في القاعدة الإملائية (مآذن – مرافئ – مسائل).

غُـربةٌ وشـــوق

من الغزل العـفـيف

للعـبـــاس بـن الأحنف

التعريف بالشاعـر

هو أبو الفضل العباس بن الأحنف بن الأسود من بني حنيفة، وأصل بني حنيفة من اليمامة ممن كانوا قد نزحوا إلى خراسان. ولد العباس ونشأ في بغداد، وكان فصيح اللسان، ظريف الحديث، ظاهر النعمة، مترفاً كريماً، حسن الأخلاق، وهو من مشاهير شعراء الغزل العفيف.

كان شاعراً مطبوعاً مجيداً، رقيق المعاني، جزل الألفاظ، متين التراكيب، ولشعره ديباجة ورونق؛ ولذلك كثر الغناء فيه. قد قصر شعره على الغزل العفيف، لم يتجاوزه إلى مدح أو هجاء. وقد قال الجاحظ فيه: «مانعلم شاعراً (غيره) لزم فناً واحداً لزومه فأحسن فيه وأكثر».

وصف النقاد شعر العباس بالعفة، ومقاومة النفس للهوى، والزهد في المتاع الحسِّي، وكان في غزله هذا غزير الفكر، واسع الكلام، كثير التصرّف، وقد قدّموه على كثير من أقرانه في هذا المجال.

اتصل بالرشيد، ونال عنده حظوة، واصطحبه في رحلته إلى خراسان، وأذربيجان، وأرمينيّة، وطالت رحلتهما، فاشتاق العباس إلى بغداد، فعاد إليها.

توفي بها عام ١٩٨هـ الموافق ٨١٤م وعمره نحو ستين عاماً وهذا النص من البحر (الطويل).

النـــص

(١) أزين نســاء العــالمين أجــيــبي ... دعــاء مــشــوق بالعــراق غــريبِ
(٢) كـتـبتُ كـتـابي مـا أقـيمُ حـروفَـهُ ... لـشــدّة إعـــوالي وطول نحــيــبي
(٣) أخطّ وأمحـو مـاخططتُ بعـبـرةٍ ... تسحُّ على القــرطاسِ سحّ غــروبِ
(٤) وإني لأستــهـدي الرياح سـلامكم ... إذا أقـبلت من نحــوكم بهــبــوبِ
(٥) وأسـألُهـا حـملَ السـلامِ إليكُم ... فــإن هي يومـاً بلّغت فـأجــيــبي
(٦) أيا فـوز لو أبصـرتني مـاعـرفـتني ... لطولِ نحـولي بعـدكم وشـحـوبي
(٧) وأنتِ من الدنيا نصيبي فـإن أمتْ ... فليــتكِ من حـور الجنانِ نصـيـبي
(٨) أزوّارَ بيت الله مـرّوا بيـثـربٍ ... لحـاجـة مـتـبـول الفـؤاد كـئـيبِ
(٩) أرى البين يشكوه المحبـون كلُّهُم ... فـيـا ربّ قـارب دارَ كلّ حـبـيبِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

مشوق: مشتاق، **ماأقيم حروفه**: ما أستطيع كتابتها معتدلة، **إعوالي**: رفع صوتي بالبكاء، **العَبْرة**: الدمعة، **تسحُّ**: تسيل بغزارة، **غروب**: الدلو الكبيرة، **أستهدي الرياح**: أطلب منها سلامكم المُهدَى إليّ، **البين**: الفراق، **متبول الفؤاد**: من أسقمه الهوى وذهب بعقله .

إضــاءة

يخاطب الشاعر حبيبته في هذه الأبيات بقوله: ياأجمل امرأة في العالم أرجوك أن تجيبي دعوة محبٍّ مشتاق إلى رؤيتك؛ فهو بالعراق يشعر بألم الغربة يعتصر قلبه. فلو رأيتني وأنا أرتجف من شدة الشوق عندما شرعت في كتابة رسالة إليكم فإنني لم أستطع كتابة الحروف من شدة العويل والبكاء، وكلما كتبت كلمات مرتجفة محتها دموعي التي تنسكب عليها بغزارة، وأقسم لك أنني أطلب من الرياح القادمة من لديكم أن تعطيني سلامكم كلما أقبلت حيث إنني أترقّبها دائماً لعلي أجد معها شيئاً من أخبارك، ثم أحمِّلها سلامي إليك، فإنْ هي أوصلت سلامي إليك فأرجوك أن تُجيبي لتخففي مابي من لوعة وشوق. ووالله يافوز – لو أبصرت وجهي ما عَرفتني وذلك لما أصابني من شحوب وأسقام بسبب اشتياقي إليكم: فأنت حظي ونصيبي في هذه الحياة الدنيا، وأرجو أن تكوني نصيبي في الجنة.

ويازوَّار بيت الله الحرام أرجوكم أن تمروا بالمدينة المنوّرة لتقضوا حاجة محبٍّ مفارق مكروب، فلعل مروركم وردّكم السلام على المحبوب يخفّف مابنا من كآبة وحزن. وإني أرى البعد يسبِّب ألماً شديداً لجميع المحبِّين، ولذلك أدعو الله أن يقارب دُورَ بعضهم من بعض.

تحليل وتذوق

في البيت الأول ينادي الشاعر حبيبته مستخدماً أداة النداء (أ) التي تدل على قرب المنادى مع أن المنادى في الحجاز، والشاعر في العراق، وذلك ليوحي أن المنادى قريب من النفس، وقد وصفها في البيت الأول بأنها أجمل نساء الدنيا وهذا الوصف المبالغ فيه أراد به التأثير في نفسها كي تستجيب له والنداء قصد به الاسترحام والاستعطاف، كذلك استخدم صفتي (مشوق– غريب) لنفسه لأجل أن يستعطف تلك المرأة.

ونلاحظ أن الشاعر قد نجح في استخدام المؤثرات العاطفية نجاحاً كبيراً حيث استخدم أسلوب النداء، والهمزة، ووصف المنادى (المحبوبة) بأنها أجمل نساء العالمين ووصف نفسه بالشوق والغربة، كلها استطاعت أن تؤثر في العاطفة وتثير فيها الشفقة والرحمة.

وفي البيت الثاني قوله: «ما أقيم حروفه» يوحي بالارتجاف من أثر البكاء، وهو تعبير يوضح مدى ما وصلت إليه حالته كبرهان على صدق حبه وهي حالة دائمة كما قال: «وطول نحيبي» وفي البيت الثالث قوله: «أخط وأمحو ما أخط بعبرة» تصوير رائع يكاد يكون مشهداً متحركاً أمام العين لما فيه من رسم حركة الكتابة ومحو الدموع إياها بشكل متكرر وهي كناية عن شدة الوجد الذي يحسه الشاعر، ثم شبه الدموع من حيث الغزارة بسحّ الدلو عندما ينسكب ماؤه ليوضح به غزارة دموعه أثناء الكتابة.

وفي البيتين الرابع والخامس كناية عن تعلّق الشاعر بالجهة التي بها تلك المرأة وهو تعلق بها حيث إنه يترقّب هبوب الرياح من تلك الجهة دائماً لعله يظفر بها وهي محمّلة بسلامها بل لايكتفي بتقبل السلام المرسل إليه وإنما يطلب من الرياح أن تحمل سلامه إليها، ويصور الرياح في صورة حامل البريدعلى طريق الاستعارة المكنية، ليزيد معنى تلهّف نفس الشاعر، واشتياقه وضوحاً: وفي البيت السادس يستخدم أداة النداء (أيا) التي تأتي للبعيد ليوحي بالمسافة البعيدة التي تفصله عن (فوز) ويقصد بالنداء الاسترحام.

وفي البيت السابع يبين المنزلة العالية التي بلغتها (فوز) من نفسه فهي حظه في الدنيا وكأنه لاحظّ له سواها، ويتمنى أن تكون حظه في حور الجنة تأكيداً لمدى تمسكه بها.

والنداء في البيت الثامن(أزوار بيت الله) يقصد به الرجاء وهو من الأساليب الإنشائية الكثيرة – كما مرَّ – وقوله(مروا) أسلوب إنشائي يقصد به الرجاء. والدعاء في البيت الأخير يدل على مدى المعاناة التي يعيشها الشاعر. وفي النص بعض المحسنات اللفظية مثل الطباق في :(أخطّ – أمحو)(البين – قارب) (الدنيا – الجنان) جاءت لإيضاح المعنى.

أسئلة وتدريبات

١ – من قائل النصّ ؟ وبم لُقِّب؟
٢ – ما الغرض الذي قصر الشاعر عليه شعره ؟ وبم يتميّز أسلوبه ؟
٣ – يقال: إن الشاعر أحسّ بالغربة وهو بين أهله. أين تجد ذلك من النصّ؟
٤ – بم توحي العبارتان: (شدة إعوالي – طول نحيبي) ؟
٥ – ما الدليل من النصّ على أن الغزل عفيف؟
٦ – في البيت الثالث كناية وتشبيه، وضحهما.
٧ – اشرح البيتين: الرابع والخامس شرحاً أدبياً، موضحاً ما فيهما من صور بلاغية.
٨ – اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:
أ – قوله: « أيا فوز » أسلوب :(إنشائي – خبري – ابتدائي).
ب– استخدم الشاعر الهمزة في البيت الأول لـ: قرب المنادى من مكانه/ قربها من نفسه/ قربها من أهله).
جـ– جاءت كلمة (سحَّ) منصوبة لأنها: (مفعول به – مفعول له – مفعول مطلق).
د– كلمة (من نحوكم) معناها (من جهتكم – من مثلكم – من قواعدكم).
هـ– كلمة (إعوالي) على وزن (فعلالي – إفعالي – فِعوالي).
٩ – قارن بين البيتين الآتيين من حيث المضمون:
قال الشاعر:

وما كنت أدري قبل عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولّتِ

ومن هذا النص قوله:

أخط وأمحو ما خططت بعبرةٍ تسحّ على القرطاس سحَّ غروبِ

دمعــــة رثاء

لابــــن الــــرُّومــــي

التعريف بالشاعر

هو علي بن العبّاس، ولد في بغداد سنة ٢٢١هـ (٨٣٥م) وعاش بها طوال حياته، أبوه روميّ، وأمه فارسية، ثقافته عربية إسلامية وقد أضاف إليها من الثقافات الأجنبية التي تركت أثرها في أدبه.

اشتهر بالتشاؤم والتطيُّر[١]، وكان إذا جاءه زائر سأله عن اسمه قبل أن يفتح له الباب، فإن كان اسمه يوحي بالشرِّ لم يفتح له، وإن كان يوحي بالخير استقبله وفرح به، ويقصّ الرواة في طَيرته أقاصيص كثيرة، من ذلك أنّ أحد إخوانه من الأمراء افتقده، فأعلِم بحاله من الطِّيَرة[٢]، فبعث إليه خادماً اسمه «إقبال» ليتفاءل به، فلمّا أخذ أهبته للركوب، قال للخادم: انصرف إلى مولاك، فمقلوب اسمك «لابقاء»، هذا وقد ابتلي في حياته العائلية، فقد مات والده وهو صغير، ثم ماتت أمّه، ومات أخوه الأكبر الذي كان يعوِّل عليه في الشدائد، وبعد ذلك فقد أبناءه الثلاثة، وزوجته، وكان لفقدهم تأثير عميق في نفسه. توفي سنة ٢٨٤هـ- ٩٨٧م .

شاعر مُجيد، وعَلَم من أعلام الشعر في القرن الثالث الهجري، وهو في منزلة أبي تمام والبحتري، امتاز بتقصّي المعاني، تتساوى أجزاء قصائده في الحسن والقوّة، له براعة نادرة في الوصف، كما نبغ في فن الشكوى والهجاء، والعتاب والرثاء. وكان متأثراً بالفلسفة والمنطق، ومن ذلك قوله:

لما تُؤْذِنُ[٣] الدُّنيا به من صُرُوفها[٤] … يكونُ بكاءُ الطفلِ ساعةَ يُولَدُ

وإلاّ فما يُبكيه منها وإنَّها … لأفسحُ ممّا كانَ فيه وأرغدُ

إذَا ابْصَرَ الدنيا استهلّ كأنّهُ … بما سوفَ يلقى من أذاها مُهدَّدُ

---

(١) التطيُّر: التشاؤم.

(٢) الطِّيَرة: مايُتشاءم به.

(٣) تؤذن: تنذر.

(٤) صروف: نوائب وأحداث.

شعره مطبوع في ديوان يحمل اسمه . وقصيدته في رثاء ابنه محمد من روائع الشعر العربي، فقد ضمّنها شدّة حزنه فأبدع، فكانت قصيدة مؤثرة ومعبّرة عن تجربة وجدانية صادقة . وفيما يلي أبيات مختارة منها . وهي من بحر الطويل .

النص

(١) بكاؤكما يشفي وإنْ كانَ لايُجدي — فجُودا ؛ فقد أَوْدَى نَظيرُكُما عِنْدي

(٢) ألاَقاتلَ اللّهُ المنَايَا ورميَهَا — من القومِ حبَّاتِ القُلوب على عَمْدِ

(٣) توخَّى حِمامُ الموت أوسَطَ صِبْيَتي — فللَّه كيفَ اختارَ واسطةَ العِقْدِ ؟!

(٤) طَواهُ الرَّدَى عنّي فأضْحَى مَزَارُه — بَعيداً على قُربٍ قريباً على بُعدِ

(٥) لَقَدْ أنْجَزتْ فيه المنَايَا وَعيدَها — وأخْلَفَتِ الآمالُ مَا كانَ منْ وَعْدِ

(٦) ألحَّ عَلَيه النَّزْفُ حتى أحَالَه — إلى صُفرَةِ الجَاديّ منْ حُمرَةِ الوَردِ

(٧) فيَالك من نفسٍ تسَاقَطُ أنفساً — تَساقُطَ درٍّ من نظامٍ بلاَ عُقدِ

(٨) لَقَدْ قلَّ بينَ المهدِ واللّحدِ لَبْثُهُ — فَلَمْ يَنْسَ عَهدَ المهدِ إذْ ضُمَّ في اللّحدِ

(٩) ألامُ لما أُبدي عليكَ من الأسى — وإنّي لأُخفي منكَ أضْعَافَ ما أُبْدي

(١٠) محمّدُ ماشيءٌ تُوُهِّمَ سَلوةً — لقلبي إلاَّ زادَ قلبي منَ الوجدِ

(١١) وأنتَ وإنْ أُفردتَ في دارِ وحشةٍ — فإنّي بدارِ الأُنسِ في وحشةِ الفردِ

(١٢) عليكَ سلامُ اللّهِ منّي تحيّةً — ومن كلِّ غيثٍ صادقِ البرقِ والرعدِ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

يشفي: يريح، **لايجدي**: لاينفع، **جودا**: أكثرا الدموع، **أودى**: مات، **نظيركما**: مثلكما في المنزلة، **توخّى**: قصد وتعمّد، **حمام**: موت، **واسطة العقد**: الجوهرة الكبيرة توضع وسط العقد، **مزاره**: المراد لقاؤه، **أنجزت**: حقّقت، **المنايا**: جمع منيّة وهي الموت، **وعيدها**: تهديدها، **ألحّ**: استمر ودام، **النزف**: سيل الدم، **أحاله**: حوّله، **الجادي**: نبات الزعفران وهو أصفر اللون، **تساقط**: أصلها تتساقط: أي تموت شيئاً فشيئاً، **درّ**: لؤلؤ، **نظام**: خيط تنظم فيه حبّات اللؤلؤ وغيرها، **عُقْد**: عُقدة تمنعه من الإنفراط، **لبثه**: بقاؤه، **منك**: من حزني عليك، **تُوُهِّم**: ظُنَّ، **سلوة**: عزاء، **الوجد**: شدّة الحزن، **أفردت**: تُركت وحيداً، **دار وحشة**: أرض موحشة والمراد بها القبر، **دار الأنس**: المراد بها الدنيا .

إضــــاءة

أقرّ الشاعر في بداية أبياته بأن البكاء يخفّف من لوعة الحزن، وإن كان لايفيد في ردّ ذلك العزيز الذي غيَّبه الموت. وقد خاطب عينيه طالباً منهما أن تجودا بالدمع الغزير؛ إذ فقد عزيزاً لايقل عنهما منزلة، ويتأمّل الشاعر طبيعة الموت وقسوته عليه فيقول: إنّه اختطف أوسط أبنائه وأحبَّهم إليه، فقد كان بين أخويه كواسطة العقد حسناً ومكانة، ثم يتحسّر لفراقه الأبدي بعد أن طواه الموت فصار بعيداً لايستطيع رؤيته مع أنَّ قبره قريب منه، وقد نفّذ الموت تهديده باختطافه، أمّا الآمال فأخلفت وعدها، وضاع أمله الذي كان يعلّقه على ابنه. ويصف الأب الحزين لوعته وهو يرى ابنه فريسة بين مخالب المرض والموت، والدم ينزف منه باستمرار، حتى اصفرّ وجهه صفرة الزعفران، بعد أن كان أحمر كحمرة الورد.

ويتعجّب في حسرة من انهيار صحّة ولده، وعجزه عن مقاومة المرض، حتى ذهبت نفسه شتاتا، وهو في سن الطفولة الغضّة، إذ ماكاد يخرج من المهد حتى تلقّفه اللحد، فهل يستطيع الأب أن يقاوم الأسى؟ إنّه حاول الصبر، ولكنّ حزنه كان بادياً، فعاتبه الناس لِمَا أظهر من حزن، مع أنه يخفي في قلبه أضعاف ما يظهر.

ثم يناجي الشاعر ابنه قائلاً: يامحمد.. لاشيء يخفّف حزني عليك، حتى ما يتوهمه الناس عزاءً لي، يزيدني لوعة وحزنا. وإن كنت وحيداً في قبرك الموحش، فقد تركتني أشعر بالوحشة، وأنا في الدنيا بين الناس.

ويختتم الشاعر هذه الواقعة الحزينة بتوجيه التحية إلى ولده. وأن يجوده الغيث، تنهمر به سحبٌ حافلة، صَادِقةُ البرقِ والرعدِ.

تحليل وتـــذوّق

لعلّك أمام نموذج معبِّر عن فطرة اللّه التي فَطَرَ الناسَ عليها، وهي حبُّ الآباء للأبناء، والنصّ كلّه لوعة أبٍ تمزّق قلبه حزناً لفقد ابنه. وكل بيت من أبياته مشحونٌ بمعاني الحزن العميق، فشاعرنا أبٌ مكلوم الفؤاد ينفث أحزانه، وآلامه معبِّراً عنها ببراعة وصدق واقتدار.. فعند استدعائه عينيه للبكاء وزّع على كلماته ألواناً من المدِّ بالألف والياء يطلق بكل منهما صوته الحزين، ويدع أنّاته من خلالهما أن تستطيل وتمتد: (بكاؤكما – فجودا – نظيركما – يشفي– يجدي– عندي)، ويرفع صوته

ناعياً على المنايا قسوتها وداعياً عليها « ألا قاتل الله المنايا » . . دعوة مفجوع، يصاب في حبَّة قلبه، وما نجد كلمة تنبض بأعمق معاني الحب والحرص والنفاسة ككلمة« حبّة القلب » . ولن تجد كلمة تعكس القسوة كقوله : (على عمد) وفي اجتماع هذين المقطعين : « حبّة القلب »و« على عمد » . تتمثَّل ذروة المأساة وعنفها، وكما جعل الأبناء حبّات القلوب، جعل ابنه –الراحل– بين أخويه كواسطة العقد، عِقْدٌ من اللآلئ المنتقاة، تأخذ مكانها من جيد الحسناء . . وواسطة العِقد توحي بأنها الغاية في الجمال والحسن، ويؤكّد هذا الإيحاء أسلوب التعجّب« فلله كيف اختار واسطة العقد ! » .

وتطالعنا حسرات شديدة، نُحِسُّ حرارتها في معانيها « طواه الرَّدى، أضحى مزاره بعيداً، أنجزت فيه المنايا وعيدها، أخلفت الآمال ماكان من وعد، لم ينسَ عهد المهد – محمدُ . . » إذ عبّر بجمل تقطر لوعة وألماً لانملك معها إلا أن نتأثّر ونشاركه آلامه وأحزانه .

وقد دفعت تلك العاطفة الحزينة الشاعر إلى أن يستخدم صوراً و أخيلة نابضة تؤدِّي دورها في خدمة المعنى : « بكاؤكما » استعارة مكنية، فقد شبّه عينيه بشخصين يخاطبهما . وسر جمالها التشخيص . و « يشفي » كناية عن الراحة مع الدموع، لأنها تطفئ نار الحزن . و« أودى نظيركما عندي » تشبيه، حيث جعل ابنه بمنزلة عينيه عنده، « توخّى حمام الموت أوسط صبيتي » استعارة مكنية تصوِّر الموت إنساناً يقصد ابنه الأوسط ويخطفه . وسر جمالها التشخيص، كما أنها توحي بشدة حزنه عليه . . « واسطة العقد » استعارة تصريحية فقد شبّه ابنه الأوسط بالجوهرة الثمينة التي تتوسَّط العِقد، وحذف المشبّه وصرّح بالمشبَّه به . وسرّ جمالها توضيح الفكرة برسم صورة لها . كما توحي بمكانة ابنه بين إخوته، وبانفراط شمل الأسرة كلّها بموته . و« طواه الرّدى » استعارة مكنية توحي بقسوة الموت .و « أنجزت المنايا وعيدها » استعارة مكنية تصوّر المنايا شخصاً ينفِّذ التهديد، وسرّ جمالها التشخيص،كما أنها توحي بالمرارة والألم، ومثلها « أخلفت الآمال . . » .– « نفس تساقط أنفساً تساقط درٍّ من نظام بلا عقد » تشبيه تمثيل : فقد شبّه النفس التي ألحّ عليها النزف ففارقت الجسم على مراحل، بالعقد الذي انفرط خيطه، فتساقطت لآلئه حبّة بعد أخرى . وسر جماله التجسيم والتوضيح مع إيحائه بقسوة المرض وحزن الأب . .، « دار وحشة » كناية عن القبر و« دار أنس » كناية عن الدنيا .

ألفاظ النص واضحة ومناسبة للغرض، ومعظم الأساليب خبرية لإظهار الأسى. إلا أنّ هناك من الأساليب الإنشائية ما يضفي على النص الحيويّة وقوّة التأثير: «جودا» أسلوب «أمر» غرضه التّمني، «كيف اختار واسطة العقد» استفهام للتعجّب والتحسرُّ. «فللّه، يالك» أسلوب تعجب وتحسّر، «ماشيء توهم سلوة إلاّ زاد قلبي من الوجد» أسلوب قصر.

ومن الأساليب الخبرية المؤكّدة للدلالة على تحقّق تلك المعاني دون شك «لقد أنجزتْ، إني لأخفي..، إنّي بدار الأنس في وحشة الفرد». علاوة على ما اشتملت عليه الأبيات من أنواع البديع: كالجناس الناقص. «أوسط – واسطة» وماله من تأثير موسيقي.

والطباق في قوله «قريب،بعيد – مهد، لحد» وجميعها توحي بالحسرة.

وكذا المقابلة بين الشطرين في البيت الخامس ممّا يدل على أقصى ما وصلت إليه حالة الشاعر من حزن وتفجّع وألم.

أسئلة وتدريبات

١– لماذا لُقب الشاعر بابن الرومي؟

٢– مطلع القصيدة يدل على نزعة ابن الرومي العقلية. وضّح ذلك.

٣– لو جعل مطلع القصيدة تساؤلاً: هل يشفي البكاء؟ أو يجدي الدمع؟ فأيّ المطلعين من وجهة نظرك أكثر تعبيراً عن شدّة الحزن؟ وضّح.

٤– ابن الرومي خصب الخيال، قادر على أن يحيل أفكاره صوراً مشخّصة تثير الانفعال. وضّح ذلك من خلال الأبيات (٤، ٥، ٦).

٥– قال الشاعر:

الموتُ نقَّادٌ على كفِّه جواهرَ يختارُ منها الجيادَا

هات من القصيدة بيتاً يوافق معنى البيت السابق، ثم اشرحهما.

٦– نلمس في النص صدق العاطفة. ما الألفاظ التي تدل على ذلك؟

٧- قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعـــيـنيّ جـــودا ولاتجـــمـــدا   ألا تبـكـيـــان لـصـــخـــر الندى؟!

أ- وازن بين البيت السابق وبيت ابن الرّومي «مطلع القصيدة» من حيث:

■ العصر الذي قيلت فيه ■ الأسلوب ■ موقف كلٍّ منهما من البكاء وجدواه.

ب- أي البيتين أعجبك؟ ولماذا؟

٨- اشرح الصورة البلاغية في قوله «فللّه كيف اختار واسطة العقد» وبيِّن رأيك فيها.

٩ - «طواه الرّدى عنّي» بِمَ توحي كلمة «طواه»؟ وماذا أفادت كلمة «عنّي»؟

١٠- اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:

- نوع العاطفة في هذه القصيدة.. (الخوف - القلق - الحزن).
- «فقد أودى نظيركما عندي» تعبير علاقته بما قبله.. (تعليل - توضيح - تفصيل).
- كلمة «ألحّ توحي بـ...(كثرة النزف - قسوته واستمراره - الشدّة والقوّة).
- «يالك» أسلوب... (تعجب - نداء - استفهام).
- الفعل «أُلامُ» بُني للمجهول لـ...(الجهل بالفاعل - التعميم - التحقير).
- حُذف حرف النداء من «محمدُ ما شيء...» للدلالة على...(قربه من مجلسه - قربه من الموت - قربه من نفسه).
- «مزاره» في البيت الرابع اسم...(مكان - زمان - مفعول).
- «محمدُ» تُعرب منادى... (منصوب - مرفوع - مبني على الضم).

١١- «ألا قاتل الله المنايا».

ما دلالة «ألا» في العبارة؟ وبِمَ يوحي جمع «المنايا»؟

في مدح الأمين

لأبي نواس

التعريف بالشاعر

هو الحسن بن هانئ ، فارسي الأب والأم، ولد في قرية من قرى الأهواز في بلاد فارس عام ١٣٩ هـ على الأرجح. مات أبوه وهو في السادسة من عمره، ثم انتقل إلى البصرة ونشأ بها، وعندما أربى على الثلاثين انتقل إلى بغداد .. توفي عام ١٩٨هـ .

كان يحظى بملكات شعرية بديعة، صقلها بالدرس والمران الطويل في الشعر القديم واللغة العربية الأصيلة منذ صباه، حتى فاق كثيراً من الشعراء، قال الجاحظ: «ما رأيت أحداً أعلم باللغة من أبي نواس» .

وكان له حسٌّ رقيق وذوق مرهف، يعرف عن طريقهما كيف يختار أرقّ الألفاظ وأيسرها، وأقربها إلى مايجري على ألسنة الناس في حياتهم اليومية. ولج أبواب الشعر كلّها . أكثر شعره في وصف الخمر، وأقلّه مدائحه. وكانت أكثر مدائحه في الرشيد وولده الأمين، وقد اتّسم بالمبالغة فيها. ومن مبالغاته الطريفة في بعض ممدوحيه:

تغطَّيتُ من دهري بظلِّ جَناحِه ... فعيني ترى دهري وليس يراني
فلو تَسألُ الأيامُ ما اسمي لمادرتْ ... وأين مكاني ما عرفْنَ مكاني

وهو في مراثيه يمتاز بحرارة اللهجة وصدق العاطفة، وربما كان أجودها جميعاً مراثيه في الأمين، وهي تفيض باللوعة والحزن العميق من مثل قوله:

طوى الموتُ مابيني وبين محمّدٍ ... وليس لما تطوي المنيَّةُ ناشرُ
وكنتُ عليهِ أحذرُ الموتَ وحدَهُ ... فلم يبقَ لي شيءٌ عليه أُحاذرُ
لئن عَمرتْ دُورٌ بمن لاأوَدُّه ... فقد عُمِّرتْ ممن أُحبُّ المقابرُ

كان ممّن نزعوا إلى التجديد في اللفظ والمعنى، وكان يعيب على شعراء عصره أن يقلّدوا القدماء في بدء القصائد ببكاء الأطلال.

وحين تقدَّمت سنُّه أخذ يفكِّر في البعث والنشور، مما جعله يردّد أنغاما مختلفة في الزهد، والتضرّع إلى الله من مثل قوله:

ياربّ إن عظُمتْ ذنوبي كثرةً	فلقد علمتُ بأنّ عفوَكَ أعظمُ
إن كان لايرجوكَ إلاّ محسنٌ	فبمن يلوذُ ويستجيرُ المجرمُ
مالي إليكَ وسيلةٌ إلا الرجا	وجميلُ عفوِكَ، ثمَّ إنِّي مسلمُ

وكان أبو نواس ممّن يؤيدون الأمين وينا صرونه على مناوئي سياسته، وقد ثَبَت على ولائه له. والنصّ التالي هو إحدى مدائحه للأمين وهو من بحر (الكامل).

النص

(١) وإذا المطَيُّ بِنَا بلغنَ محمَّداً	فظُهُورُهنَّ على الرجالِ حرَامُ
(٢) قرّبْنَنَا من خيرِ مَنْ وطئَ الحصى	فلهـا علينا حُرْمَةٌ وذمامُ
(٣) ملكٌ إذا عَلِقَتْ يداكَ بحبله	لايعتريكَ البؤسُ والإعدامُ
(٤) فالبَهو مُشتملٌ ببدرِ خلافةٍ	لبسَ الشبابَ بنوره الإسلامُ
(٥) سبطُ البنان، إذا احتبى بنَجاده	فرَعَ الجماجمَ، والسِّماطُ قيامُ
(٦) إنّ الذي يُرضي الإلهَ بهديه	ملكٌ تردَّى الملكَ وهو غلامُ
(٧) ملكٌ إذا اعتسَرَ الأمورُ مضى به	رأيٌ يَفلُّ السيفَ وهو حسامُ
(٨) داوى به اللّهُ القلوبَ من العمَى	حتى أفقنَ، وما بهنَّ سَقامُ
(٩) فسلمتَ للأمرِ الذي تُرجَى له	وتقاعست عن يَومِكَ الأيّامُ

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

المطيّ: جمع مطيّة وهي الدابة التي تُركب، **وطئ الحصى**: مشى على الأرض، **ذمام**: عهد، **علقت**: تعلّقت به واتصلت، **الإعدام**: من العُدْم وهو: الفقر، **البهو**: مكان واسع يستقبل فيه الضيوف والمقصود «مجلس الخلافة»، **مشتملٌ**: ملتفٌّ، **سبط**: مسترسل، **احتبى**: شدّ ظهره وساقيه معاً، **النجاد**: حمّالة السيف التي يعلّق

بها، **فرع الجماجم**: علاها وفاقها ، **السماط**: الصف من الجند، **هديه**: سيرته، **تردّى**: لبس الرداء، والمقصود تولّي الخلافة، **اعتسر الأمور**: اشتدّت وأصبحت عسيرة، **يفلُّ السيف**: يكسر حدَّه، **الحسام**: القاطع، **سقام**:مرض، **تقاعست عن يومك الأيام** : دعاء له بطول العمر.

إضاءة

بدأ أبو نواس أبياته مشيداً بالأمين ومكانته، فرأى أنّ المطايا التي أوصلتهم إليه يحقُّ أن تُحرَّم ظهورها على الراكبين كافة ؛ لأنها قد حقّقت آمالهم بلقاء خير من يمشي على الأرض. فوجب عليهم ردّ الجميل برعاية حرمتها وحمايتها. وأيّ لقاء يساوي لقاء الخليفة؟ بل أيّ أمل أكبر من أمل لقائه؟ فمَن قصدَه لقي في كنفه الجود والكرم، وأَمِنَ الشقاء، ونوائب الزمن.

ويقول: لقد تألّق نوره في مجلس خلافته، كما يتألق البدر، واعتزّ به الإسلام، وتوطدت دعائمه، بل لقد استعاد به الإسلام مجده وقوّته.

ويستمر الشاعر في سرد مآثر الخليفة، ومناقبه الكريمة قائلاً:

إنّ الأمين جواد كريم، تفيض يداه بالنوال والعطايا، وفارس باسط الجسم فارع الطول، يعلو بقامته المديدة هامات الرجال. فلا تطاوله ولاتبلغ مداه. وقد ولي الخلافة فتىً ولم يثنه صغر سنّه من الأخذ بأسباب النجاح في إدارة شؤون الدولة، وتسيير أمور المسلمين الدينية والدنيوية، وتحقّق له ذلك ففاز برضى اللّه تعالى. وقد منحه الله من سداد الرأي والحكمة مايمكّنه من اجتياز العقبات والأمور العسيرة، بل لقد ذهب بسداد رأيه وحكمته إلى أبعد من ذلك، فالسيوف البتّارة تقف عاجزة أمام عزمه وسداد رأيه.

هذا الخليفة الذي جاء فأزال غشاوة القلوب، وضلال النفوس، ومحا صدأها، فبرئت ممّا كان قد اعتراها من ضعف ووهن، فعادت إلى رشدها.

ويختتم أبو نواس مديحه بالدعاء لممدوحه، بأن يبقيه الله ذخراً للآمال المعقودة به، ويطيل في عمره.

تحليل وتذوّق

يمثّل هذا النّص لوناً من المديح الذي شاع لدى شعراء العصر العباسي، وقد رسم أبو نواس صورة للخليفة الأمين توافق شعوره ومشاعره الفيّاضة بالتأييد والمناصرة، إذ مجّد فيه الصفات التي حرص العرب على تمجيدها: كالجود والشجاعة والمهابة والرفعة وطول القامة، والقوة، والمجد ومضاء العزم. وقد عبّر عن تلك المعاني في صور بلاغية موحية. فالكناية في البيت الأول في قوله «فظهورهن على الرجال حرام» توحي بالمكانة العالية والفريدة التي يحظى بها الخليفة دون غيره من الناس.

والاستعارة التصريحية التي يحملها البيت الثالث. مصوِّرة جوده حبلاً من يمسك به لايمسّه فقر أو عوز. وغرضها إبراز كرمه وجوده وكذا الاستعارة التصريحية في «بدر الخلافة» في البيت الرابع. فقد صّور بهاء الخليفة فشبهه بالبدر في تألّقه وضيائه. وفي البيت نفسه تطالعنا استعارة جميلة «لبس الشباب بنوره الإسلامُ» وهي تفيد التشخيص، وتجسِّد عظمة دور الخليفة في إرساء المبادئ الدينية والخلقية بعد أن انتشر الفساد والضلال في المجتمع. وفي البيت السادس في قوله «تردّى الملك» استعارة مكنية فقد شبّه الملك بالثوب الذي يُلبس وحذف المشبه به «الثوب» وأتى بصفة من صفاته وهي «تردّى» والاستعارة هنا تشعرك أن الملك كأنما أُعِدَّ وهُيّء له. أما الاستعارة التصريحية في البيت الثامن فقد جعلت الفساد والضلال عمى في قوله: «داوى به الله القلوب من العمى» وفيها توظيف لمعاني القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿... فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾[١] . أما التعبير بقوله: «داوى به الله..» فهو يضيف مآثر جديدة إلى مآثره الخالدة في مناهضة الأمراض الاجتماعية والضعف الخلقي أو الديني.

وبعض الصور مصدرها إكبار الشاعر ممدوحه إلى درجة حملته أحيانا على المبالغة كالكنايات المتتالية: «خير من وطئ الحصى» كناية عن الأفضلية و«سبط البنان» كناية عن الكرم، و«فرع الجماجم» كناية عن طول القامة». ألفاظ النص تمضي رصينة طيِّعة، لاغرابة فيها ولاضعف، وهي صدى لما تصوره من معانٍ وأفكار.

الأبيات أسلوبها خبري والغرض البلاغي منها هو الإشادة بالأمين، وتمجيدصفاته، عدا البيت الأخير فالغرض البلاغي للخبر هو الدعاء.

---

(١) الحج، آية: ٤٦ .

الوحدة العضوية في النصّ متمثّلة بوحدة الموضوع، ووحدة الجو النفسي.

أما الخصائص الفنيّة لأسلوب أبي نواس في النصّ فتتمثّل بسهولة الألفاظ وجزالتها وقوّة العبارة، وخصب الخيال، والميل إلى المبالغة.

ومن ملامح البيئة في النص: ذكر المطايا والسيف.

أسئلة وتدريبات

١ – ما العوامل التي ساعدت في صقل الموهبة الشعرية عند أبي نواس؟

٢ – ما الفن الشعري الذي اشتهر به أبو نواس؟

٣ – ما الصفات التي أضفاها أبو نواس على ممدوحه؟

٤ – كان أبو نواس يعيب على شعراء عصره تقليد القدماء. إلى أيّ مدى تراه قد حقّق ذلك في نصّه؟

٥– في النص مايدل على تأثره بالبيئة، وفيه توظيف لبعض معاني القرآن الكريم. وضّح ذلك؟

٦– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس فيما يأتي:

– قاد أبو نواس ثورة على التقاليد الفنية...(المحدثة – الموروثة – المزدوجة).

– من مميّزات أسلوب أبي نواس في النص...(غرابة الألفاظ – تكلّف الصور – سهولة الألفاظ).

– التعبير بقوله «بلغن محمداً» يدلّ على...(بعد مكانه – علو مكانته – سرعة المطايا).

– كلمة «أفقن» في النص توحي بالصحو بعد...(النوم – الغفلة– الضلال).

– تكرّرت كلمة «ملك» في النص للدلالة على...(التعظيم – التعميم – التأكيد).

– ضدّ كلمة «الإعدام» في النص... (الحياة – الغنى – الإحياء).

– إعراب الضميرين على الترتيب في «قرَّبننا»..(مفعول به وفاعل – فاعل ومضاف إليه – فاعل ومفعول به).

– مرادف كلمة «حُرمه» في النصّ... (ذمّة – منعة – امرأة).

– الغرض البلاغي من الخبر «سلمت للأمر...» (النصح – الدعاء – المدح).

– سيطر الأسلوب الخبري في النص لأن الشاعر معنيٌّ بالتعبير عن...(أحاسيسه بصدق – خياله الواسع).

٧- قال أبو نواس:

إنّ الذي يرضي الإلَه بهديه ملك تردّى الملك وهو غلام

وقال أبوتمّام في رثاء محمد الطوسي:

تردّى ثياب الموت حمراً فما دجا لها الليل إلا وهي من سندس خضرِ

وردت كلمة «تردّى» في البيتين. وقد رأى بعض النقّاد أنّ الكلمة في بيت أبي نواس غير جميلة. هل توافقهم الرأي؟ علّل.

٨- قال مروان بن أبي حفصة في مدح محمد المهدي:

أحيا أمير المؤمنين محمدٌ سنن النبيِّ حرامها وحلالها

وقال أبو نواس في مدح الأمين:

فالبهو مشتملٌ ببدر خلافةٍ لبس الشبابَ بنوره الإسلامُ

أ - ما المعاني المشتركة في البيتين؟

ب- أيّ البيتين - من وجهة نظرك - أجمل تعبيراً عن دور الممدوح؟ وضّح ذلك.

٩- قال أبو تمّام:

وما كان يدري مجتدي جود كفّه إذا ما استهلّت أنّه خُلق العسرُ

وقال أبو العتاهية في مدح هارون الرشيد:

وراعٍ يراعي الله في حفظ أمّةٍ يدافع عنها الشرَّ غير رقُودِ

هات من أبيات النصّ ما يحمل معنى كل بيت ممّا سبق.

١٠- ١) **ملكٌ إذا عَلِقَتْ يداكَ بحبلِه لايعتريكَ البؤسُ والإعدامُ**

٢) **فالبهو مشتملٌ ببدرِ خلافة لبس الشبابَ بنورِه الإسلامُ**

٣) **سبطُ البنانِ، إذا احتبى بنجاده فَرَعَ الجماجمَ، والسِّماطُ قِيامُ**

أ - انثر الأبيات نثراً أدبياً. ب - ضع لها عنواناً يحدّد فكرتها.

١١- «رأيٌ يفلُّ السيف» اشرح الاستعارة في التعبير السابق، موضّحاً دورها في المعنى.

النثر في العصر العباسي الأول

كان النثر محدوداً بجانب الشعر في العصر الجاهلي. لكنه أخذ يتنامى في عصر صدر الإسلام برسائل الرسول ﷺ وخطبه ورسائل الخلفاء الراشدين وخطبهم ومكاتباتهم. ثم اتسع النثر الفني في عصر بني أمية بعدما رست دواوين الدولة التي بدأ إنشاءها عمرُ بن الخطاب أمير المؤمنين. وكان عبد الحميد الكاتب وشهرته ثمرة لاتساع النثر وازدياد أهميته.

ولأن النثر مظهر العقل ومرآة الخاطر فقد بلغ النثر أوجه من التطور في العصر العباسي الأول. استدعى ذلك العمران وتطور الحياة الاجتماعية والاقتصادية، واتساع نطاق الدولة، وامتزاج الثقافات الفارسية واليونانية والهندية بالثقافة العربية. لذلك لم تقتصر الكتابة على شؤون الدواوين وإنشاء الرسائل، بل تعدتها إلى أغراض شتى كالتصنيف، والترجمة، والمقامات، والمقالات، والعهود، والوصف، والمناظر، وإنشاء الرسائل في الإهداء، والشكر، والعتاب، والتعازي، والتهاني، والاستعطاف، وغير ذلك من المعاني الحضرية، التي لم يعرف أكثرها من قبل. وسنتناول أهم الألوان النثرية.

النثر الفني

النثر الفني هو ذلك اللون من الكتابة النثرية الذي يرتقي إلى مستوى أعلى مما تضمنه من أغراض، حيث يظل هدفاً للدراسة في ذاته، لما فيه من قيم جمالية فنية.

وفي العصر العباسي الأول يمكننا القول إن الكتابة ظلت على أسلوب عبد الحميد الذي اشتهر بالميل إلى الإيجاز والقصد في الغلو والتنميق. فلما حل الترف، واختلط العرب بالفرس وغيرهم أخذوا يتأنقون في الكتابة ويطيلون، فظهر أن التكرار أبلغ للمعنى وأوقع في النفس. يقول ابن قتيبة: إن من الصواب أن يطيل الكاتب ويكرر ويعيد ويبدي ويحذر وينذر.

ولقد اشتهر ابن المقفع بطريقة التنويع في العبارة، وتقطيع الجملة والمزاوجة بين الكلمات، وتوخي السهولة والعناية بالمعنى والتقليل من السجع. ومن أقواله: «البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها». وقال ناصحاً أحد الكتاب: «إياك وتتبع الوحشي من الكلام طمعاً في نيل البلاغة فإن ذلك هو العيُّ الأكبر».

وقد حذا حذو ابن المقفع يعقوب بن داود، وجعفر بن يحيى، وسهل بن هارون وغيرهم.

أما الجاحظ فإن شهرته لاتحد. وطريقته أشبه بطريقة ابن المقفع في سهولة العبارة وجزالتها، لكن هذه الطريقة تمتاز بتقطيع الجمل إلى فقرات كثيرة مقفاة أو مرسلة، وزيادة في الإطناب في الألفاظ والجمل والاستطراد، ومزج الجد بالهزل لإبعاد سأم القارئ، وتحليل المعنى واستقصائه، وتحكيم العقل والمنطق، والاعتراض بالجمل الدعائية ويمكن ملاحظة سمات هذه الطريقة من المقتبسات الآتية:

قال يعاتب صديقاً: «والله ياقُليب لولا أن كبدي في هواك مقروحة[1] وروحي بك مجروحة، لساجلتك هذه القطيعة وماددتك حبل المصارمة»[2].

وقال في رسالة التربيع والتدوير في مهاجاة محمد بن عبد الوهاب: «احذر البغي فإن مصرعه وخيم، واتق الظلم فإن مرعاه وبيل [3]... من عرف قدر نفسه عرف قدر خصمه، ومن جهل نفسه لم يعرف قدر غيره... وأنت والله تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الأخبار أني أظهر منك حرباً، وألطف كيداً، وأكثر علماً وأوزن حلماً، وأخف روحاً، وأكرم عيناً، وأقل غشاً، وأحسن قداً، وأبعد غوراً، وأجمل وجهاً، وأنصع ظرفاً، وأكثر مُلْحاً [4] وأنطق لساناً، وأحسن بياناً، وأجهر جهارة، وأحسن شارة».

وقال في مكانة الكتاب: «الكتاب هو الجليس الذي لايطريك[5]، والصديق الذي لايغريك، والرفيق الذي لايملُّك، والجار الذي لايستبطيك، والصاحب الذي لا يريد استخراج ماعندك بالملق، ولايعاملك بالمكر، ولايحتال بالكذب. والكتاب هو الذي إن نظرت فيه أطال إمتاعك وشحذ[6] طباعك، وبسط لسانك، وجوّد بنانك، وفخّم ألفاظك، وعمر صدرك».

الخطابة

تعد الخطابة لغة السياسة، ولغة العلم والثقافة والوعظ والإرشاد، تقوم مقام وسائل الإعلام المعاصرة. ولقد ظلت الخطابة في أوائل هذا العصر قوية لماجرى من ثورات اجتماعية، وماظهر من دعوات مذهبية، فتعددت موضوعاتها وتشعبت مناحيها، ثم أخذت تخفت عندما استقر حكم بني العباس وخبت نار الأحزاب والثورات.

---

(١) مجروحة (٢) الجفوة والقطيعة (٣) ثقيل سيِّىء.

(٥) يثني عليك (٦) أحدّ وقوّى (٤) المُلَح: الأحاديث الطيبة الظريفة.

الرسائل الديوانية

الرسائل الديوانية هي الكتابات التي تتناول تصريف أعمال الدولة، وما يتصل بها من تولية الولاة، وأخذ البيعة للخلفاء وولاة العهد، والفتوح، والجهاد، ومواسم الحج والأعياد، وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجفاف والجدب. كما تشمل وصايا الخلفاء والوزراء والحكام في تدبير شؤون الدولة، وماشابه ذلك. ولقد علت مكانة الكتابة في دواوين الدولة، وصار من يحظى بقبوله في وظيفة كاتب ذا شأن ورفعة. فالكثير من مشاهير الكتاب في الدواوين أوصلتهم شهرتهم إلى أرفع المناصب.

التوقيعات

هي عبارات موجزة بليغة يوقع بها الخلفاء والولاة على ما يقدم لهم من شكاوى وتظلمات. وكان الكثير من هذه التوقيعات يشيع ويحفظ من قبل الكتاب.

وهذه طائفة من التوقيعات:

وقع السّفّاح في شكوى قلة الرزق عند جماعة: «من صبر في الشدة شارك في النعمة».

ووقع أبو جعفر المنصور على شكوى أهل الكوفة من عاملهم: «كما تكونون يؤمر عليكم».

ووقع المهدي لشاعر: «أسرفتَ في مديحك فقصرنا في حبائك».

ووقع الرشيد على رسالة لوالي خراسان: «داو جرحك لايتسع».

ووقع المأمون على رسالة متظلم: «ليس بين الباطل والحق قرابة».

أسئلة وتدريبات

١- لماذا كان النثر محدوداً بجانب الشعر؟

٢- ما الذي استدعى المزيد من تطور النثر في العصر العباسي الأول؟

٣- ما المقصود بالنثر الفني؟

٤- لماذا كانت الخطابة قوية في بداية العصر العباسي الأول؟

٥- نقول: الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية. ما الفرق بينهما؟

٦- لماذا كان الكثير من التوقيعات يشيع ويحفظ من قبل الكتاب؟

خطبة لأبي جعفر المنصور

أولى العباسيون في بداية حكمهم – عناية بالغة بالخطابة لما لها من تأثير بالغ في النفوس، واستحواذ تام على هوى القلوب ولباب العقول. فاعتمدوا عليها في توطيد حكمهم وترسيخ دعائمه وفي تحميس الجند للذود عن دولتهم. وفي تسليم الأمة بقناعاتهم الفكرية، والسياسية – التي يشهرونها في وجه خصومهم – وفي أحقيَّة الحكم لهم.

فهذا أحد أعلامهم (داود بن علي) يخطب على منبر الكوفة يوم بيعة أول خلفاء بني العباس فيقول: «الآن أخذ القوس باريها ورجع الملك إلى نصابه، وعاد الحق إلى مستقره».

على فهم هذه الأسس وتلكم المبادئ ارتكزت الخطابة في بداية هذا العصر. فتبارى في حسن أدائها، وسبك معانيها الخلفاء، والعلماء.

وفي نموذج الخطبة التالية التي تنسب إلى الخليفة العباسي (أبي جعفر المنصور) تبدو – بوضوح – تلك الرؤى الفكرية والسياسية لحكم العباسيين، كما تلمس أثر ازدهار الخطابة في العصر العباسي الأول، وماوصلت إليه من شأنٍ رفيع، وشأوٍ بعيد غير مسبوق.

التعريف بقائل النص

هو أبو جعفر المنصور عبدالله بن محمد ثاني الخلفاء العباسيين. كان معروفاً بالحزم وقوّة الشخصية، ويُعدُّ ممن أرسوا قواعد الدولة العباسية، وممن اهتموا بتدوين العلوم وترجمتها. كما عُرف عنه أنه كان خطيباً مفوَّهاً يملك ناصية اللغة، ويطوِّع سحر بيانها لترجمة أفكاره، ومقاصده بأسلوب بليغ قلَّ من يضاهيه فيه في عصره.

ولي الخلافة سنة ١٣٦هـ وتوفي رحمه الله في العام ١٨٥هـ.

مناسبة النص

خرج أبو مسلم الخراساني القائد الحربي – الذي يؤول إليه الفضل الكبير في انتصار الدولة العباسية – بأمر من الخليفة المنصور لقتال بعض خصوم العباسيين الذين يُنازعونهم الخلافة.

هزمهم أبو مسلم الخراساني في منازلة دارت بالبصرة واستولى على غنائم كثيرة. فما كان من الخليفة المنصور إلاَّ أن أرسل بعض رجاله لحصر الغنائم وحفظها. غضب القائد الخراساني من هذا التصرف وقال: « أمين على الدماء خائن في الأموال » واتجه إلى خراسان وأعلن خروجه عن طاعة المنصور التي – طالما – قاتل الآخرين عليها ليسلموا بها.

ونظراً لذكاء المنصور، وحنكته السياسية لم يُبد –علناً– امتعاضه من تصرف أبي مسلم الخراساني، بل أخذ يتلطف به، ويغريه بالعدول عن موقفه العدائي له – تخوفاً من مكانته الجليلة بين جنده وأتباعه – حتى استقدمه فقتله.

وبعد أن أجهز عليه خرج على الناس في مدينة المدائن *، وألقى خطبته المشهورة التي قال فيها:

النص

«أيُّها الناسُ. لاتَخرجُوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية ولا تُسرُّوا غشَّ الأئمة. فإنَّهُ لم يُسِرَّ أحدٌ قطٌ مُنكرَةً إلاَّ ظَهرتْ في آثارِ يده، وفلَتاتِ لِسانه، وصفحاتِ وجهه وأبداها اللهُ لإمامه لإعزاز دينه، وإعلاء حقِّه.

إنَّا لن نبخسَكُم حُقُوقَكم، ولن نبخسَ الدينَ حقَّهُ عليكُم وإنَّ مَن نازعنا عُروةَ هذا القميصِ أجزرناهُ خبيَّ هذا الغمد. وإنَّ أبا مسلم بايعنا وبايع الناسَ لنا على أنَّهُ من نكثَ فقد أباح دمَهُ، ثم نكثَ بِنَا فحكمنَا عليه لأنفُسِنا حُكمَهُ على غيرِه لنا. ولم تمنَعْنا رِعَايةُ الحقِّ لهُ من إقامة الحقِّ عليه».

* المدائن: مدينة تقع قرب بغداد وكانت عاصمة للساسانيين قبل زوال دولتهم.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الأئمة: جمع إمام، والإمام هو: رأس الدولة الإسلامية، **عروة القميص**: الفتحة التي يدخل منها الزر من رقبة القميص، أمّا ما أراده المنصور فهو كناية عن الخلافة، والعروة كناية عن أبسط شيءٍ من الخلافة، **الغمد**: جراب من الجلد يوضع السيف بداخله، **نكث**: نقض، **أباح دمه**: أحلَّ دمه أي أحلَّ قتله.

إضـــاءة

بدأ أبو جعفر المنصور خطبته ناصحاً الأمَّة بوجوب الطاعة لسلطان العباسيين. فبها يتحقق لهم الأمان، والسعة، وسلامة الأحوال، وصفاء الدهر، محذراً إيَّاهم الخروج على الطاعة، والوقوع في حبائل المعصية، فذلك يفقدهم الأمان، ويهوي بهم إلى المهالك.

ولم يكتفِ المنصور بعقد هذه المقارنة بين الترغيب في الطاعة، والتنفير من المعصية، كما لم يقتنع بظاهر الطاعة، بل أخذ يوغل في التحذير، ويطلب أن تتحقق الطاعة في السرائر أيضاً. فمن يُضمر شرّاً – لسلطانهم– أو يَهمُّ به فإنّه لامحالة واقعٌ في سوء ما وسوست به نفسه. فالله سبحانه وتعالى وهب الإمام فراسة، ونفاذ بصيرة يستطيع بهما كشف الضغائن المدفونة، والخدائع المبيّتة، وذلك من خلال حركات صاحبها، ومن ملامح وجهه، ومن بين ثنايا حديثه.

وفي خضم هذا التهديد والوعيد لم ينسَ المنصور مسؤولية الحاكم عن الدين والرعيَّة، فأكّد التزامه باحترام الحقوق، وبحماية الدين. فلن يظلم الناس حقًّا هو لهم ولن يُفرِّط في حقٍّ أوجبه الدين عليهم. ثم سرعان ما يعود فيؤكد أحقيَّة العباسيين في الخلافة، ويتوعد –صراحة– بالموت كل من يحاول منازعتهم الحكم أو جزءاً صغيراً منه. وينتقل بعد ذلك إلى بيان موقفه من أبي مسلم –وهوهدف الخطبة– فيوجز سوء عاقبته في الآتي:

بايعنا أبو مسلم الخراساني على الطاعة، وأخذ لنا البيعة من الناس، وقتل كل من يخرج عنها. ثم خرج عن طاعتنا. فما كان منَّا إلاَّ أن فرضنا عليه العقاب الذي كان يفرضه على غيره على الرغم من مكانته عندنا وحقّه السابق في مناصرتنا.

تحليل وتـــذوق

تتميز هذه الخطبة كمثيلاتها من خطب العصر العباسي الأول بمتانة العبارة، وقوة المعنى، وبجزالة اللفظ المقترن بوضوح مقصده، وسهولة مخارجه. وغاية ذلك تحقيق التأثير المطلوب وجدانياً، وعقلياً في عامة الناس وخاصتهم.

فألفاظ الخطبة تسير مع الجوِّ النفسي الذي فرضه الموقف بحسب مقتضى الحال. فهي تهدأ عند النصح، وعند الالتزام بالحقوق من قبل الحاكم كقوله: «لاتخرجوا.. لاتسروا.. لن نبخسكم..» وتشتدُّ عند الغضب، وتحذير الرعية من التفريط بحقوق الحاكم كقوله: (من نازعنا.. أجزرناه.. من نكث.. أباح دمه..) وتعتمد في الحالتين على وسائل تعبيريّه مؤثرة وصور بيانية غاية في الجمال من ذلك:

الاستعارة في عبارتي: (أنس الطاعة – وحشة المعصيةِ) حيث شبه الطاعة ببيتٍ تحفُّه السعادة، وتُظِّلُه راحة البال، ثم حذف البيت وأبقى شيئاً من صفاته وهو: (الأنس) بينما شبه المعصية بقفرٍ موحش تبغضه النفس، وتحيط به المهالك فحذف القفر وأبقى شيئاً من صفاته وهو: (الوحشة).

الكناية في قوله: «من نازعنا عروة هذا القميص..» فالقميص كناية عن الخلافة، وعروته كناية عن أصغر شيءٍ منها. وكأنَّه في هذه العبارة البلاغية الموجزة يقول: لامجال لأحد أن ينازعنا الخلافة، أو أي شيءٍ منها مهما صغر شأنه.

وفي قوله: «أجزرناه خبيَّ هذا الغمد» كناية عن السيف الذي سيضع حداً لحياة من يحاول المساس بالحكم، كما أن عدم التصريح بالسيف، والاكتفاء بالإشارة إليه على مايخفيه الغمد؛ فيه إيحاء بالفزع، والرهبة، وتعميق المخافة، والحذر من سوء المصير.

المقابلة في قوله: (رعاية الحق له – إقامة الحق عليه) تبرز موازنة عقلية، اعتمد عليها الخطيب لبيان عدل الحاكم، وعدم مداهنته في غمط الحق. فإخلاص الخراساني ومكانته الرفيعة لم يحولا دون تحقيق العدل فيه الذي يسري على جميع الناس عظيمهم، وحقيرهم دون استثناء. وكذلك المقابلة التي تجدها بين عبارتي: «لاتخرجوا من أنس الطاعة – إلى وحشة المعصية» التي رسمت مقارنة متباينة بين سُلوكين أغرت بالقرب من الأول، واستقبحت الثاني، ونفَّرت منه. إضافة إلى ماتحمله الخطبة من

جوانب بلاغية أخرى كالتأكيد عن طريق التكرار المعنوي في قوله: «إعزاز دينه– إعلاء حقه» والتعبيرات الموحية التي أنطقت الحواس مثل: «فلتات لسانه – آثار يده» كما لايفوتنا أن ننبه إلى العاطفة الدينية التي اعتمد عليها أبو جعفر في خطبته، وتضمنتها عبارات مثل: «لاتسروا غِش الأئمة – أبداها الله لإمامه – لن نبخس الدين حقه».

وهكذا تلمس أن تلك الصور البيانية، والمعاني البلاغية التي استخلصناها من ثنايا الخطبة، قد أضفت على النص صفاء الأسلوب، ووضوحه، وسلامة اللفظ المدعوم بقوة المعنى، مما يدل على مهارة أبي جعفر المنصور، وقدرته في توظيف المعنى، وحسن اختيار العبارة.

أسئلة وتدريبات

١ – لِمَ اهتم العباسيون بالخطابة في بداية حكمهم؟

٢ – قال أحد أعلام العباسيين «أخذ القوس باريها... عاد الحق إلى مستقره» ماذا يقصد بذلك.؟

٣ – لِمَ قاتل أبو مسلم الخراساني خصوم الدولة العباسية؟

٤ – ما الذي أغضَب أبا مسلم الخراساني وجعله يخرج عن طاعة المنصور؟

٥ – كيف تصرف أبو جعفر المنصور مع عصيان الخراساني قبل مقتله؟

٦ – لِمَ لم يعلن المنصور جهاراً غضبه على الخراساني قبل مقتله؟

٧ – كيف ينكشف من أسرَّ الغش لحاكمه كما جاء في الخطبة ؟

٨ – استخرج من الخطبة مقابلة، ثم اشرحها وبيِّن أثرها في المعنى.

٩ – استخرج استعارة مكنية، ثم اشرحها وبيِّن أثرها في المعنى.

١٠– اذكر نوع الاستعارة في العبارة الآتية، ثم اشرحها «لاتخرجوا من أنس الطاعة».

١١– «فلتات لسانه – زلأّت لسانه» بيِّن أي التعبيرين أبلغ في إيضاح الفكرة مع التعليل.

١٢– ما المقصود بعبارة «عروة هذا القميص» كما جاء في الخطبة؟

١٣– قال المنصور :« نازعنا عروة هذا القميص » ولم يقل : « نازعنا هذا القميص » بِمَ يوحي الفرق بين العبارتين؟ وضح ذلك معتمداً على ما جاء في العبارة من صور بلاغية .

١٤– ما الأثر الذي أراد إحداثه أبو جعفر بعدم التصريح بالسيف والاكتفاء بورود الكناية في قوله :« أجزرناه خبي هذا الغمد » ؟

١٥– اشرح العبارة الآتية شرحاً أدبياً وافياً مبيناً الصور البلاغية التي تضمنتها« لم تمنعنا رعاية الحق له من إقامة الحق عليه » .

١٦– اختر الإجابة الصحيحة من بين العبارات الآتية :

أ – الضمير (نا) الذي ورد في عبارة « إن من نازعنا عروة هذا القميص » هو : فاعل – مفعول به – مجرور بالإضافة .

ب– الضمير (نا) الذي ورد في عبارة « فحكمنا عليه » هو : فاعل – مفعول به – مجرور بالإضافة .

جـ– الضمير (نا) الذي ورد في عبارة « لأنفسنا » هو : فاعل – مفعول به – مجرور بالإضافة .

د– الأسلوب الذي ورد في عبارة « لاتسروا غش الأئمة » هو أسلوب : خبري – إنشائي – تعجبي .

هـ– الأسلوب الذي ورد في عبارة « إن أبا مسلم بايعنا » هو أسلوب : خبري – إنشائي – تعجبي .

١٧– قال تعالى :

﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾[1] .

أين تجد معنى هذه الآية في الخطبة؟

(١) الآية ٣٠ من سورة محمد .

وصــف صديــق

نموذج من الأدب الكبيـــــــر

لابـن المـقـــــــفـع

التعريف بالكاتب

هو عبدالله بن المقفع فارسي الأصل، وكان اسمه قبل إسلامه روزبة بن داذويه، فلما أسلم تسمى بـ (عبد الله) ، وتكنّى بأبي محمَّد، ولقب أبوه بالمقفّع لأن الحجاج بن يوسف الثقفي اتهم أباه باختلاس مال الدولة وعاقبه، فضربه على يديه حتى تقفعتا، أي تورّمتا.

ولِدَ عام ١٠٦هـ، ونشأ في قرية «جُور» الفارسية فمضى ينهل من ينابيع الثقافة الفارسية، يساعده ذكاؤه على استيعاب كنوزها وما نقل إليها من فلسفة وحكمة هنديَّة.

انتقل إلى البصرة التي كانت مركزاً علمياً يزخر برجال العلم والأدب، فجعل يخالطهم ويأخذ عنهم.

اتصل بآل «الأهتم» وكانوا عرباً أقحاحاً معروفين بالفصاحة، وأصبح مَوْلى لهم يغترف من بلاغتهم، وكان يتردد بين الحين والحين إلى منتدى الأدباء والشعراء، يصغي إلى مساجلاتهم وأقوالهم إصغاء طالب العلم والمعرفة.

وهكذا تمَّ له إتقان اللغة العربية التي استقاها من ينابيعها الأصلية .

ومضى يشق طريقه معتمداً على ما يملكه من زاد فكري ، قوامه الثقافتان الفارسية والعربية .

اشتهر «ابن المقفع» بذكائه المتقد، وكرمه ، وأخلاقه الحميدة، وحبه لأصدقائه حتى قال : «ابذل لصديقك دمك ومالك» .

مات مقتولاً في البصرة عام ١٤٢ هـ ، بسبب آرائه التي أغضبت المنصور. آثاره: ترك «ابن المقفع» وراءه آثاراً جليلة منها ماترجمه ككتاب «كليلة ودمنة» ومنها ما

وضعه ككتاب « الأدب الكبير » و« الأدب الصغير » ويعدّ كتاب « كليلة ودمنة » من أشهر كتبه وأعظمها شأناً وأكثرها خلوداً ، وقد ساقه في قالب حكايات على ألسنة الحيوان والطير من قبيل الأدب الرمزي ، وأودعه الكثير من نزعاته السياسية . وهو في الأصل موجَّه إلى ذوي السلطان من ملوك، ووزراء ، وحكام، ويتضمن إرشادات ونظماً وتوجيهات، من أروع ما خطّه يراع، وأكمل ما أبدعه فكر، لذلك عُني علماء كل أمَّة بنقله إلى لغاتهم.

وكتاب « الأدب الكبير » يتحدث فيه عن الأخلاق وآداب الصديق ، وأما كتاب « الأدب الصغير » فعبارة عن دروس اجتماعية وأخلاقية تحث على طلب العلم ومحاسبة النفس وتأديبها.

وعلى الرغم من أن« ابن المقفع » يتعصب للآداب الفارسية فإن فضله على اللغة العربية وآدابها عظيم ، فهو أول من أدخل إليها الحكم الفارسية والهنديَّة ، وعلم الأخلاق ، والسياسة ، وأول من ألف وترجم ، ومزج الثقافة العربية بالثقافة الأجنبية، ورفع في كتبه النثر العربي إلى أعلى درجات الفن.

وكان « لابن المقفع » أسلوب خاص به، هو « السهل الممتنع » وتتجلى فيه البلاغة في أجمل صورها، وكان يدعو إلى البعد عن الألفاظ الغريبة والمعاني المبتذله، ونجد في أسلوبه أفكاراً مرتبة، وألفاظاً سهلة فصيحة ومنتقاة وقوية الدلالة على المعاني،وقد ساد أسلوب « ابن المقفع » آنذاك وقلده البلغاء من الكتاب فقد تأثر « الجاحظ » بطريقته في التحليل والجدل، واستقى المتنبي كثيراً من حكمه، واغترف من إنتاجه الفكري « الفارابي » و « ابن سيناء » في موضوع الولاة والأصدقاء.

النص

كان لي أخٌ من أعظم الناس في عيني . وكان رأس ما عظَّمه في عيني صغرُ الدنيا في عينيه..

كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولايُكثر إذا وجد.
وكان خارجاً من سلطان لسانه، فلا يتكلم ما لا يعلم، ولا يماري فيما علم.

وكان خارجاً من سلطان الجهالة، فلا يتقدم أبداً إلا على ثقة بمنفعة . وكان لايبطر عند نعمة، ولا يستكين عند مصيبة.

وكان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بزّ القائلين. وكان يُرى ضعيفاً مستضعفاً، فإذا جد الجد فهو الليث عادياً. وكان لايدخل في مراء ، ولايُدلي بحجة حتى يرى قاضياً فهماً، وشهوداً عدولاً. وكان لايلوم أحداً فيما يكون العذر في مثله حتى يعلم ما عذره . وكان لايشكو وجعه إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير صاحباً إلا أن يرجو منه النصيحة.

وكان لا يتبرَّمُ ولا يتسخَّطُ ولا يتشكَّى ولا يتشهَّى ولا ينتقم من العدو، ولا يغفلُ عن الولي، ولا يخصُّ نفسه دون إخوانه بشيء من اهتمامه وحيلته وقوته.

فعليك بهذه الأخلاق إن أطقتها ، ولن تطيق . ولكنَّ أخْذَ القليل خيرٌ من ترك الجميعِ.

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

يماري: يجادل .

الجهالة: الجهل بمعنى : النزق والطيش.

بزَّ القائلين: فاقهم .

عادياً: وثاباً .

الشهود العدول: الشهود المنصفون.

البرء: الشفاء .

يتبرم: يتذمر .

الولي: الصديق .

حيلته : بمعنى حسن تصرفه في الأمور .

إضـــاءة

النص بمجمله يدور حول فكرة واحدة هي الأخلاق التي ينبغي أن يتحلى بها الإنسان ليعظم شأنه في الحياة.

ويعرض «ابن المقفع» الفكرة في شكل سرد وصفي لصديق له، فيقول : كنت معجباً به وبأخلاقه، وكان أكثر إعجابي به هو عدم تأثره بالدنيا أو الاهتمام بها، فكان قنوعاً لايعرف الجشع ، والطمع، ولم يكن ثرثاراً يجادل دون علم أو معرفة، ولم يكن أحمق ولا سريع الغضب، وكان شجاعاً لايستكين أو يضعف، وكان فصيحاً إذا تحدث فاق المتحدثين قولاً ، وكان لايشكو ظلمه إلاّ لعادل ، ولايلوم أحداً حتى يعرف عذره ، ولايأخذ النصيحة إلاّ من ناصح مفيد، وكان صبوراً لايضيق صدره، ولا ينتقم من عدو، ولا يغفل عن صديق، ولايخص نفسه بشيء دون إخوانه.

بهذه الأخلاق أخرج لنا «ابن المقفع» صورة للرجل الكامل على نحو ما يراه، فعليك بها إن استطعت، ولن تستطيع ولكن أخذِ القليل منها خير من تركها جميعاً.

تحليل وتـــذوّق

نرى «ابن المقفع» في هذا النص يصف صديقه بأسلوب مرسل، قوامه البساطة وسهولة الألفاظ دون تكلف أو تنميق ، وإذا نظرنا إلى بعض عبارات النص مثل: (وكان خارجاً من سلطان لسانه، فلا يتكلم ما لا يعلم، ولا يماري فيما علم) نلاحظ سهولة العبارة واختيار اللفظة مع تركيزه على المعنى فكل جملة تؤدي معنى لايتكرر، وإن كان كل معنى يتصل بسابقه، كما نلاحظ بعض الصّور الأدبية كالتشبيه في قوله: (فإذا جدَّ الجدُّ فهو الليث عادياً) وهو تشبيه بليغ زاد الفكرة وضوحاً ، والكناية في قوله: (فإذا قال بزَّ القائلين) كناية عن بلاغة القول، والاستعارة في قوله: (كان خارجاً عن سلطان بطنه)، وقد غلبت على النص الجمل الخبرية مما زاد الكلام قوة وتأثيراً، كما نلاحظ سمو التعبير في قوله (كان لايشكو وجعه إلاّ عند من يرجو عنده البرء) وهو قصر يفيد التوكيد إذ قصر فيه الشكوى على من يجد عنده الشفاء والإنصاف، وفي قوله: (لايستشير صاحباً إلاّ أن يرجو منه النصيحة) يفيد قصر الاستشارة على من يجد عنده النصيحة، ثم نراه يختم النص بعبارة إنشائية جميلة ناتجة عن فعل الأمر، تهدف إلى توضيح المعنى وإثارة الانفعال، (فعليك بهذه الأخلاق ....).

أسئلة وتدريبات

١ – ما اسم «ابن المقفع» ؟ ولماذا لقب أبوه بالمقفع؟

٢ – أدب «ابن المقفع» يعكس أخلاقه وصفاته، وضح ذلك .

٣ – ما أشهر كتبه ؟ وما الذي يرمي إليه في الكتب الثلاثة؟

٤ – اذكر فضل «ابن المقفع» على اللغة العربية وتأثيره عليها .

٥ – هناك كتَّاب تأثروا «بابن المقفع» اذكرهم موضحاً تأثّرهم به .

٦ – اختر الإجابة الصحيحة مما يأتي :

أ – يدخل نص «وصف الصديق » تحت :

– الأدب السياسي – الأدب الاجتماعي – الأدب الديني .

ب – ضد (الجهل) في النص : الحماقة – الحلم والتعقل – المعرفة .

جـ – معنى (يتبرم) في النص : يتهرب – يتذمر – يتقاعس .

د – معنى (البرء) في النص : التعب – الإرهاق – الشفاء .

٧– أدب «ابن المقفع» نتاج ثقافات متعددة . اذكر بعضها .

٨– اكتب فقرة توضح فيها معنى العبارة الآتية :

(وكان أكثر دهره صامتاً ، فإذا قال بزّ القائلين) .

٩– استخرج الصورة الأدبية من العبارة الآتية :

(وكان يُرى ضعيفاً مستضعفاً ، فإذا جد الجد فهو الليث عادياً) .

١٠– ما أبرز السمات الفنية لأسلوب «ابن المقفع» ؟

قاضـي البصـــرة

للجـــــاحظ

التعريف بالجاحظ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، سمي بالجاحظ لجحوظ عينيه. ولد عام ١٥٩هـ، ونشأ في أسرة فقيرة في مدينة البصرة –من أصل إفريقي– وقد تألقت شمس حضارتها وأينعت ثمار علومها وآدابها.

بهرته أضواء الحضارة واستهوته ألوان الثقافة، فمَضى يعبّ من ينابيع المعرفة في حلقات المساجد،وسوق المربد، وفي بطون الكتب بدكاكين الورّاقين. فمن فقره كان يكتري دكان الوراق من هؤلاء، فيغلق الوراق دكانه عليه ليلاً، ليقرأ كل ماخطه من الكتب. وظل يقرأ طوال عمره، حتى إنه كان يقرأ وهو مصاب بالفالج (الشلل) في آخر أيامه.

ساعده على استيعاب المعارف شغف شديدبالقراءة، وذكاء نادر، وحافظة عجيبة، حتى أصبح موسوعة في العلم والأدب لثقافات عصره من عربية ويونانية وفارسية وهندية. ففي العلم كان ينظر ويبحث ويستقرئ ويجرِّب ويجادل ويحاور، وفي الأدب كان يعرض للشعر والنثر، وينقدالنص، ويوازن بين الشعراء.

ارتحل إلى بغداد وخالط أوساطها العلمية والأدبية، وصار نابغة عصره، وللجاحظ مؤلفات كثيرة تعد عند البعض بالمئات. وأشهر هذه المؤلفات المعروفة لدينا:

- كتاب البيان والتبيين، وهو كتاب مكوّن من جزأين، مزج فيه الجاحظ بين علوم البلاغة والأدب والتاريخ.
- كتاب الحيوان، من سبعة أجزاء، يعدموسوعة تمثل ثقافة العصر العباسي المتنوعة المتشعبة. والكتاب ليس مقصوراً على الحيوان كما يدل عليه الاسم، فقد حوى طائفة من المعارف الطبيعية والمسائل الفلسفية، وخصائص البلدان، وتأثير البيئة في الحيوان والإنسان والشجر.

- البخلاء، وهو كتاب مكون من جزء واحد، يعرض فيه قصصاً طريفة عن نماذج إنسانية من بخلاء عصره.

لم يكن الجاحظ كالمؤلفين الآخرين يجمعون المعلومات ويروونها، وإنما كان يبتكر ويطرف، وينشئ للناس بديعاً فيه معارف مع دعابة وهزل وفكاهة. ولذلك أحبه القراء وأغرموا به. فطار صيته في الآفاق. وكان حكام عصره يقدرون مؤلفاته أيما تقدير، فيحرصون على الاطلاع كلما ظهر للجاحظ مؤلف جديد.

لقد خطا الجاحظ بالكتابة الفنية -عند العرب- خطوة جديدة نحو التعبير عن جميع الموضوعات في سحر وبيان عذب. ومال في كتابته إلى الواقعية، فمثل عصره تمثيلاً دقيقاً بكل مافيه من حقائق. ولذلك كان يدقق في انتخاب الألفاظ، بحيث تلائم مايصفه أو يصوِّره دون أن يهتم بالصور الفنية من تشبيهات واستعارات وكنايات، وإذا وردت مثل هذه الصور فهي من أجل الإبانة عن المعنى بطريقة واقعية محسوسة. ركز الجاحظ على الإيقاع الصوتي في ألفاظه عن طريق لجوئه إلى صور مختلفة من التكرار، فكانت الفكرة عنده تؤدى في عبارتين أو أكثر.

والجاحظ يميل إلى الاستطراد، إذ نجده في مؤلفاته ينتقل من موضوع إلى موضوع لمرور ذكره في الكلام. وعنده أن هذا الخروج إنما هو من أجل دفع السأم والملل عن القارئ.

وجملة القول إن للجاحظ فضلاً كبيراً على الأدب العربي، فقد قرّب الفلسفة والعلوم إلى كل ذهن، وصاغها صياغة أدبية مزج فيها أقوال الفلاسفة بأقوال الأدباء، ووظف اللغة العربية في تعميق المنطق، وتعميق لغة الحياة التي تفصح عن كل علم، وتعبر عن كل فن.

تعمَّر الجاحظ، إذْ مات وعمره ستة وتسعون عاماً، بعد أن انهار جانب من أرفف كتبه عليه، فكان سبب وفاته -رحمه الله- عام ٢٥٥هـ.

والنص الآتي[١] يسوق فيه الجاحظ حكاية من زمنه، بأسلوبه السابق الذكر.

---

(١) من كتاب الحيوان.

النص

كان لنا بالبصرة قاضٍ يقالُ له عبدُ الله بن سوّار، لم ير الناسُ حاكماً قطُّ زِمِّيتاً، ولا رِكِّيناً، ولا وَقُوراً حليماً، ضَبَط من نفسه، وملك من حركته مثل الذي ضبط وملك.

كان يأتي مجلسه فيحتبي ولا يتَّكي، فلا يزال منتصباً لايتحركُ له عضو، ولايلتفتُ ولايُحِلُّ رجلاً على رجل، ولايعتمد على أحد شِقَّيْهِ حتى كأنه بناءٌ مبني أو صخرة منصوبة. وكان مع ذلك لايحرِّك يده ولا يشير برأسه، وليس إلا أن يتكلم.

فبينما هو كذلك ذاتَ يومٍ وأصحابه حواليه، وفي السِّمَاطَيْن بين يديه، إذ سقط على أنفه ذباب فأطال المكث، ثم تحول إلى مؤق عينه. فرام الصبر في سقوطه على المؤق وعلى عضِّه ونفاذ خرطومه، كما رام الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرِّك أرنبتَهُ أو يُغضّن وجهَهُ، أو يذبّ بإصبعه، فلما طال ذلك عليه من الذباب، وشغله وأوجعه وأحرقه وقصد إلى مكان لايحتمل التغافلَ أطبق جفنَه الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض. فدعاه ذلك إلى أن يُوالي بين الإطباق والفتح فتنحّى ريثما سكن جفنه، ثم عاد إلى مؤقه بأشد من مرَّته الأولى، فغمس خرطومه في مكان قد أوهاه قبل ذلك، فكان احتمالُه له أضعف وعجزُه عن الصبر في الثانية أقوى، فحرّكَ أجفانَهُ، وزاد في شدة الحركة، وألحَّ في فتح العين، وفي تتابع الفتح والإطباق فتنحَّى عنه بقدر ما سكَنَتْ حركتُه، ثم عاد إلى موضعه، فما زال يلحُّ عليه حتى استفرغ صبرَهُ وبلغ مجهودَهُ، فلم يجد بداً من أن يذبَّ عن عينيه بيده. ففعل، وعيون القوم إليه ترمقه، وكأنهم لايرونه، فتنحَّى بقدر ما رد يده وسكنت حركتُه. ثم عاد إلى موضعه، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كمِّه. ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك، بعين من حضر من جلسائه. فلما نظروا إليه قال: أشهد أن الذباب ألح من الخنفساء، وأزهى من الغراب. وما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله -عز وجلّ- أن يعرِّفه من ضعفه ماكان عنه مستوراً. ثم تلا قوله تعالى:

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾[1].

(١) الحج آية: ٧٣

معاني المفردات والتراكيب اللغوية

الزِّمِّــــيت: المتكلف الوقار.

الـــركّـــين: الرزين.

السِّــمــاط: الصف.

المـــــوق: مقدمة العين من جهة الأنف.

إضــــاءة

يتحدث الجاحظ في هذا النص عن واقعة محددة هي وقار ابن سوّار ورزانته المبالغ فيها، وكبره الذي يثير الاستغراب.

ويوضح النص هذا الوقار والرزانة والكبر مجسَّداً حين يقول: إنه لايستند على أحد جنبيه ولايحرك إحدى رجليه ولا يلتفت، ولولا أنه يتكلم وهو محتب لحسب الناظر إليه أنه جماد أو تمثال لا يصدر منه شيء آخر يدل على الحياة.

وكلام الجاحظ في الفقرتين (١، ٢) تمهيد للحادثة –موضوع النص– التي ستخرج ابن سوار عن وقاره وكبره.

فالحادثة أنه بينما هو كالمعتاد في وقاره ورزانته الزائدة عن الحد، وأصحابه حواليه في صفين في الجامع سقط ذباب على أنفه ومكث طويلاً، وكان هذا شيئاً هيناً أمام وقار ابن سوار الذي يتباهى ويزهو به في دخيلته، لكن الذباب تحول إلى مؤقه. ولما كان المؤق رقيقاً تؤلم فيه وخزة، أو حركة أصغر شئ فقد أحرق الألم القاضي، لكنه كابر وتجلّد وأراد أن يبلغ أعلى حد للصبر، غير أن حرقة الألم فوق الصبر، مما جعل ابن سوار يطبق جفنيه، ثم يطبقهما ويفتحهما مرات متتابعة متسارعة. وعند عودة الذباب كانت حرقة الألم أشد، لأن المؤق قد أضحى أضعف وأوهى، مما اضطر ابن سوار –بعد ذلك– إلى أن يذب عن عينيه بيده، وهو خروج عن المألوف في سلوكه. وهذا الخروج جعله وأصحابه في حرج، حتى إنهم كانوا –فقط– يرمقونه وكأنهم لايرونه. ولاشك في أن حرجه كان أكبر وهم يرمقونه بخبث فيما يحاولون إظهار أنهم ليسوا مشغولين به.

إن ذكر الذبابة كـأنما أرسل لتنهار رزانة ابن سوار المبالغ فيها، التي تتعارض مع الفطرة السليمة.

تحليل وتذوق

يقال إن الجاحظ أنزل النثر والأدب إلى الواقع حيث لم يكن الكتاب والشعراء يركزون على الوقائع الحياتية البسيطة. أما الجاحظ في هذا النص فإنه يصور حادثة واقعية من وجهة نظره كإنسان لايحب المبالغة في مجمل المسالك ولايحب الكبر والترفع.

والواقعية يدل عليها مطلع النص « كان لنا بالبصرة قاض... ». ولأن الجاحظ يرفض التزمت والوقار المتكلف، فقد جاء بكلمة « قط » للدلالة على أن ابن سوار قد وصل ذروة التزمت والكِبر الذي لايضاهيه فيه أحد، المتمثل بثبات الجلسة المبالغ فيه، رغم ما يخالط هذا الكِبر من صفات إيجابية كالحِلْم والتدين.

ويمكننا أن نلاحظ إسهاب الكاتب في وصف الذباب وحركته بين الأنف والمؤق ومحاولة القاضي التحمل بكل ما أوتي من صبر لايقدر عليه غيره. إن هذا التصوير الدقيق يظهر لنا الجاحظ كما لو كان أمام شريط تليفزيوني، يعيد الشريط كلما أحب أن يكون دقيقاً في وصف إحدى جزئيات هذه الحالة. لاحظ كيف يستقصي الوصف: « من غير أن يحرك أرنبته أو يغضِّن وجهه أويذب بإصبعه». ويمكن أن نلاحظ ملمحاً من ملامح مايسمّى بـ(الدراما) أو الصراع الداخلي للشخصيات في القصص الفنية لعصرنا الحالي. فالجاحظ يعيش حالة القاضي من الداخل ويحس بأحاسيسه ومعاناته حين يقول: « فلما طال ذلك عليه من الذباب وشغله وأوجعه وأحرقه... »، أو قوله: « حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده... ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كمه، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك... ».

إن الصبر على ثبات الجلسة وتحمل وجع عضو من أعضاء الجسم بصبر مبالغ فيه؛ شيء ترفضه الفطرة السليمة للإنسان، بل إن كل ماهو معقد في حياة الناس أو سلوكهم يجعلنا ننفر منه. ولذلك يتوقع القارئ أن نهاية هذا الزهو والكبر –كسلوك إنساني معقد– لابد أن ينهار عند ابن سوار، ويكون عبرة إنسانية، وهو ماحدث فعلاً.

تنساق الحكاية إلى العبرة التي نستفيدها، وهي أن ابن آدم –مهما زها بنفسه وبلغ به الكبر –فإنه في حقيقته ضعيف، وماحدث لابن سوار خير دليل.

ولأن الكاتب يفرِّق بين مالايعجبه في ابن سوار وشخصيته ككل، فإنه لم يأتِ بالعبرة السالفة الذكر على لسانه (الكاتب)، بل أتى بها على لسان ابن سوار نفسه.

فالإنسان قادر على اكتشاف عيوبه وإصلاح نفسه. فمجيء العبرة على لسان ابن سوار فيه جانب تربوي، وذلك بإبعاد الحرج بين ابن سوار وأصحابه، والتخلص من هذه العقدة التي صنعها بلا لزوم؛ إذ لابد أن يكون شجاعاً فيزيلها ويتخلص منها هو بنفسه. ولقد نجح في فعل ذلك حين قاده ذهنه إلى إلحاح الذباب والخنفساء وزهو الغراب، ليخلص إلى قوله تعالى:

﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾(١).

وكل ذلك عود إلى الرشد واستعادة للمنطقية التي كانت غائبة عن ذهن ابن سوار.

وإذا وقفنا عند أسلوب الجاحظ في هذ النص وجدنا أن أول مايلفت الانتباه التكرار الذي يقصد من خلاله تأكيد الفكرة مثل قوله «لم ير الناس حاكماً زميتاً، ولاركيناً وقوراً»، «ضبط من نفسه وملك حركته»، أو قوله «مثل الذي ضبط وملك».

ولغة الجاحظ وألفاظه ليست معقَّدة وغريبة خشنة، بل عذبة موقعة، تميل إلى السهولة.

وفيما يخص الصور الفنية لاتوجد صور باستثناء التشبيهين «كأنه بناء مبني، أو صخرة منصوبةٌ» وذلك لما في الوصف والتصوير من دقة ورغبة إيضاح تغني عن توسل الصور. ويمكننا القول بأن النص قصة طريفة مكتوبة بلغة عذبة رقيقة، توافرت فيها كل العناصر من شخوص، وزمان، ومكان وحدث يتنامى إلى أن تتعقد الأمور، فيما يسمى العقدة. وهذه العقدة تنفرج في النهاية.

أسئلة وتدريبات

١ – أين ومتى ولد الجاحظ؟

٢ – من أين استقى الجاحظ ثقافته؟ وما المقصود بالوراقين؟

٣ – ما الفرق بين التعبيرين (أحبَّ القراءة – شغفَ بالقراءة)؟

٤ – ما المقصود بقولنا (الاستقراء طريقة بحث علمي)؟

٥ – لماذا ارتحل الجاحظ إلى بغداد؟

٦ – بِمَ تميز أسلوب الجاحظ؟

٧ – ماذا تعني الشعوبية؟ وما رأي الجاحظ فيها ؟

٨ – وضح العبارة: «بهرته أضواء الحضارة».

(٢) الحج آية: ٧٣

٩ – ما أشهر مؤلفات الجاحظ؟
١٠– اختلف الجاحظ عن باقي المؤلفين في عصره. وضح ذلك.
١١– ما غاية التكرار في كتابات الجاحظ ؟
١٢– ما إنجاز الجاحظ فيما يخص الفلسفة والعلوم ؟
١٣– اختر الإجابة الصحيحة من بين الأقواس:
- ضد كلمة «يانعة»: (فجة، قليلة، ضعيفة).
- «الجاحظ نابغةٌ»: التاء في «نابغة لـ:(التأنيث اللفظي، التأنيث المعنوي، المبالغة).
- ضد كلمة «الزِّميِّت»: (الهادئ، المتواضع، الطائش).
- أرنبة الأنف: (طرفه، قصبته، منخاره).
- مقابل كلمة «الموق»: (المقلة، الحدق، الطرف).

١٤– ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، أو علامة (X) أمام العبارة الخطأ:
- لايهتم الجاحظ بالصورة الفنية لأنه يريد الإقناع ( ).
- مثّل الجاحظ الطبقات العليا من المجتمع في عصره ( ).
- اهتم الجاحظ بوصف الأحداث والأشياء وتصويرها ( ).
- مات الجاحظ تحت وطأة مرض الفالج ( ).
- يجلس أصحاب القاضي حوله في دائرة مكتملة ( ).

١٥– هل كان سلوك القاضي في مجلسه أمراً طبيعياً ؟ وضح ذلك.
١٦– ماذا كان غرض القاضي من إلزام نفسه بهذا السلوك ؟ وهل وصل إلى غرضه؟
١٧– وصف الجاحظ القاضي في جلسته بتفصيل. ما قصده من ذلك؟
١٨– ما دلالة قول الجاحظ: «ملك من نفسه»؟
١٩– وصف الجاحظ حركة الذباب بدقة، فما المقصود من ذلك؟
٢٠– استخرج من النص ألفاظاً تدل على دقة الوصف.
٢١– في النص مثلان حددهما.
٢٢– لماذا جعل الجاحظ القاضي ينتقد نفسه بنفسه في نهاية النص؟
٢٣– ورد في النص تضاد لفظي فيما يخص حركة الجفنين. حدده.
٢٤– بِمَ يوحي قوله: «لايحرك يده، ولايشير برأسه»؟
٢٥– لِمَ رمقت العيون القاضي بحذر ؟
٢٦– أعد وصف حركة الذباب في النص بأسلوبك.

البلاغة

- مراجعة لما سبق دراسته.
- من علم المعاني:

– الخبر والإنشاء.

– الجملة الخبرية (أغراضها وأضرُبها).

– الإنشاء الطلبي وغير الطلبي.

– أساليب الإنشاء الطلبي وأغراضها:

(الأمر – النهي – الاستفهام – النداء – التمني)

مراجعة عامة على ماسبق دراسته

المجموعة الأولى

١- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ۝٤ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ۝٥ ﴾(١).

٢- قال تعالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ۝٦٣ ﴾(٢).

٣- قال « ﷺ » :

«مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجّة طعمها طيّب وريحها طيب».

٤- قال الشاعر:

إذا صح منك الودّ فالكل هيّن ... وكل الذي فوق التراب ترابُ

٥- وقال آخر:

كأن القلب ليلة قيل يُغدى ... بليلى العامرية أو يراحُ

قطاةٌ عزّها شركٌ فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناحُ

٦- وقال آخر:

ورمَتْ بي كي تستريحَ لآها ... تي وألحاني العذاب الحسان

يقتنى العود غالياً ثم لايُرْ ... جى انتفاعٌ منه بغير الدخان

٧- وقال آخر:

سيذكرني قومي إذا جدّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقد البدرُ

(١) القارعة، آية: ٣-٤ ، (٢) الشعراء، آية: ٦٣

٨– وقال آخر:

وبدا الصباح كأن غرّته وجه الخليفة حين يمتدحُ

٩– وقال آخر:

قد لاحت الشمسُ تحكي عندَ مطلعِها مرآة تبرٍ بدتْ في كفٍّ مرتعشِ

أ – اقرأ الأمثلة السابقة، ثم أجب عن الأسئلة :

– هات مثالاً للتشبيه مما سبق تحقَّقت فيه أركان التشبيه، مبيّناً كل ركن.

– استخرج تشبيها تمثيليا وآخر ضمنياً موضحاً مدلول كل منهما.

– ماذا تعرف عن التشبيه البليغ من خلال الأمثلة السابقة؟

– هات مثالاً للتشبيه المتعدِّد مع توضيح معناه.

ب – أدخل الأسماء المشبه بها الآتية في جمل من إنشائك:

(الأسد – ضوء الفجر – الورد – المطر – السراب – الجبل – الشهاب).

جـ – (اجْعَل التشبيهات الآتية تشبيهات بليغة وغيّر ما يلزم:

(العالم مثل النور – خالد كا لسيف على الأعداء – المجاهد شبيه الأسد في المعركة – أنت للفقراء كا لغيث للأرض – ذكرك بين الناس كا لعطر).

المجموعة االثانية

١– قال تعالى : ﴿ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًاۚ ﴾(١).

٢– وقال تعالى : ﴿ وَءَاتُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْۖ ﴾(٢).

٣– وقال تعالى : ﴿ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ ﴾(٣).

٤– وقال تعالى حكاية عن النبي زكريا عليه السلام :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾(٤).

٥– قال الشاعر:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي

---

(١) غافر، آية : ١٣ . (٢) النساء، آية : ٢ (٣) العلق، آية: ١٧– ١٨ . (٤) مريم، آية: ٤٠ .

٦– قال تعالى : ﴿ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ ﴾(١).

٧– قال الشاعر :

فلسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِّما

٨– قال عليه الصلاة والسلام :

«**أكثروا من ذكر هادم اللذات**»(٢).

أ – اقرأ الأمثلة السابقة، ثم استخرج منها ما يأتي :

– مجازاً مرسلاً علاقته المسببية وآخر علاقته المحلية.

– استعارة تصريحية وأخرى مكنية.

– كناية عن الموصوف وأخرى عن الصفة.

ب – هات مثالاً لكناية عن النسبة ، وأخرى لمجاز مرسل علاقته الحالية.

جـ – بين القيمة الفنية للاستعارة في البيت الآتي :

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات ووحدانا

المجموعة الثالثة

١– قال تعالى : ﴿ فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا ﴾(٣).

٢– وقال تعالى : ﴿ وَتَحۡسَبُهُمۡ أَيۡقَاظٗا وَهُمۡ رُقُودٞ ﴾(٤).

٣– وقال « ﷺ » مخاطباً الأنصار :

«**إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلّون عند الطمع**».

٤– وفي حديث آخر :

«**اللّهمَّ أعطِ منفقاً خلفا وأعط ممسكاً تلفا**»(٥).

---

(١) الأحزاب، آية : ١٠ . (٢) رواه الترمذي . (٣) التوبة ، آية : ٨٢

(٤) الكهف، آية: ١٨ . (٥) رواه البخاري.

٥– قال الشاعر:

أبيــات شــعــرك كــا لقــصــو ر ولا قـــصـــور بهـــا يعـــوقُ
ومن العـــجـــائب لفـظهـــا حـــــرٌّ ومـــعـنـاهـا رقـــيـقُ

٦– وقال آخر :

أنت فـــخَّـــارٌ بدنيـــاك ولا بدّ للفـــخَّـــار من أن يتكسَّـــرْ

٧– وقال آخر :

يـا عـــاذلي فـــيـــه قلْ لِيْ إذا بـدا كـــيـــف أسـلـو
يمـــرّ بـــي كـــل حـــين وكـلـمـــا مـــرّ يـحـلـو

٨– قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ ﴾(١).

٩– قال أحدهم : « **حسامه فتح لأوليائه حتف لأعدائه** ».

١٠– قال الشاعر:

ولم أر كـالمعـروف تُدعى حـقـوقُـه مـغـارمَ في الأقـوامِ وهي مـغـانمُ

١١– وقال آخر :

إنْ يقـتلوك فـقـد ثللت عـروشـهم بعـتـيـبـةَ بْنِ الحـارث بن شـهـاب
بأشـدِّهم بأســاً على أعـدائه وأعـزّهم فـقـداً على الأصـحـاب

أ – اقرأ الأمثلة السّابقة ثم استخرج منها مايأتي :

– تورية محدداً اللفظ الدال على ذلك مع توضيح المعنيين: القريب والبعيد .
– مقابلة مع توضيح مدلولها في المثال الذي يتضمنها .
– جناساً ناقصاً، وآخر تاماً .
– موازنة مع توضيح مدلولها .
– عبارات مسجوعة مع بيان معنى السجع من خلال المثال .

ب – ما معنى الطباق؟ اذكر مثالاً له .

---

(١) الضحى، آية : ٩–١٠ .

الخبر والإنشاء

الأمــــــثـلـة

- أ -

١ـ قال أبو فراس الحمداني :

ومـا كـان للأحـزان لولاك مـسلك إلى القلب لكن الهـوى للبلى جسـر

٢ـ قال عنترة بن شداد :

لايَحْـمِـلُ الحـقـدَ مَنْ تعلو به الرُّتبُ ولا يَنالُ العُــلا مَنْ طبــعُـهُ الغـضب

٣ـ قال المتنبي :

أعَـزُّ مَكانٍ في الدُّنَا سـرجُ سَـابِحٍ وَخَـيْـرُ جَليسٍ في الزمـانِ كـتـابُ

- ب -

١ـ قال تعالى :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [(١)].

٢ـ وقال ذو الإصبع العدواني يوصي ابنه :

«يابني، ألِنْ، وتَوَاضعْ، ولا تستَأثِرْ» .

٣ـ قال الشاعر:

ألا ليت الشــبـاب يعـود يومـاً فــأخـبـــره بما فــعل المشـيـب

التــوضـيـح

الجملة العربية لابد ـلإفادتها ـ أن يتوافر لها ركنان أساسيان هما المسند إليه والمسند، خذ مثلاً هاتين الجملتين:

١ـ القراءة زاد العقل ٢ـ ذاكروا دروسكم.

(١) سورة البقرة، الآية : ٢٨

الجملة الأولى جملة اسمية أسندنا فيها كلمة « زاد العقل » وهي الخبر إلى المبتد أو هو كلمة « القراءة » وبذلك أفادت الجملة أن (القراءة زاد العقل) . والجملة الثانية جملة فعلية أسندنا فيها فعل الأمر « ذاكر » إلى الفاعل واو الجماعة على وجه يفيد طلب الأمر بالمذاكرة .

وإذا رجعت إلى الجملتين الاسمية والفعلية وجدت أنهما تتكونان من ركنين أساسيين، هما المبتدأ والخبر في الجملة الاسمية، والفعل والفاعل في الجملة الفعلية .

ويسمى « المبتدأ » في الجملة الاسمية و« الفاعل » في الجملة الفعلية « المسند إليه » .

ويسمى « الخبر » في الجملة الاسمية و« الفعل » في الجملة الفعلية « المسند » .

والإسناد هو ضم الخبر إلى المبتدأ ، والفعل إلى الفاعل، ومازاد عن ذلك في الجملة فهو قيدٌ فيها، ومن هذه الجمل تتكون الأساليب الخبرية والإنشائية .

وإذا تأملت المثال الأول في المجموعة (أ) تجد أن الشاعر يريد أن الأحزان تنتابه وأن الهوى هو طريق إلى الهلاك، وهو في قوله هذا ، قديكون صادقاً، وقد يكون كاذباً ، فإن طابق الواقع كان صادقاً ، وإن خالفه كان كاذباً ، وهذا الأسلوب الذي يحتمل الصدق ويحتمل الكذب يسمى خبراً .

وفي المثال الثاني يخبرنا عنترة أن الحقد لايجد سبيلاً إلى قلب من تعلو به الرتب، لأنه لاتوجد صفات دميمة تعوقه عن الرقي والرفعة، وأما الذي يكون من طبعه الحدة والغضب مع من يتعاملون معه ، فإنه لاينال شرف الرفعة والعلا ، لأن آلة الرئاسة سعة الصدر .

وهذا المعنى الذي ساقه الشاعر قد يكون صادقاً فيه إن طابق الواقع، وقد يكون كاذباً إن خالف الواقع . وهذا الأسلوب يسمى خبراً .

وفي المثال الثالث ، يخبرنا المتنبي بأن أعز مكان في الحياة وأشرفه هو امتطاء صهوة الخيول، والدفاع عن الوطن، فإن لم يكن الوطن في حاجة إلى الدفاع عنه فالقراءة والاطلاع والإفادة من العلم .

والمتنبي في قوله هذا قديكون صادقاً فيه إن طابق الحقيقة والواقع، وقديكون كاذباً إن خالف الحقيقة والواقع .

واحتمال الخبر للصدق والكذب إنما يرجع إلى الكلام ذاته دون النظر إلى المخبر أو الواقع بخلاف القرآن الكريم، وأخبار الرسول « ﷺ » والأخبار البدَهيَّة مثل « يعيش السمك في الماء » هذه الأخبار كلها لاتحتمل إلاَّ الصدق، وصدقها آتٍ من ناحية قائلها أو من ناحية البداهة فيها.

وإذا رجعت إلى أمثلة المجموعة (ب) تجد في المثال الأول الآية الكريمة اشتملت على استفهام « كيف تكفرون بالله » والاستفهام أسلوب إنشائي لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

أما المثال الثاني فقد اشتمل على ثلاثة أساليب إنشائية لا تحتمل الصدق ولا الكذب، الأول النداء « يابُنيَّ » والثاني الأمر « ألِنْ ، تواضعْ» والأسلوب الثالث النهي « لا تستأثِرْ » .

والمثال الثالث اشتمل على أسلوب تمنٍّ « ألا ليت الشباب يعود يوماً » وهو أسلوب إنشائي لا يحتمل الصدق ولا الكذب.

وجميع هذه الأساليب لا توصف بالصدق ولا بالكذب، لأنها أساليب يطلب بها حصول شيء لم يكن موجوداً .

الخلاصة

- تتكون الجملة من ركنيين أساسيين هما المسند إليه، والمسند.
- الإسناد: هو ضم الخبر إلى المبتدأ، والفعل إلى الفاعل، وما زاد عن ذلك فهو قيدٌ فيها.
- أساليب اللغة العربية : نوعان : خبر وإنشاء.
- فالخبر : قول يراد به إفادة السامع فائدة ما، وهو يحتمل الصدق والكذب لذاته، فإن طابق الواقع كان صادقاً ، وإن خالفه كان كاذباً.
- الإنشاء : قول لايحتمل الصدق ولا الكذب وله أساليب متعددة.

أسئلة وتدريبات

١ – ميِّز الجمل الخبرية والإنشائية في النصوص الآتية ، وعيِّن المسند ، والمسند إليه .

أ – قال تعالى : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [١] .

ب– قال الشريف الرضي :

قـد يبلغ الرجلُ الجـبـانُ بمالِه ... مـا ليس يَبْلُغُـهُ الـشُّـجـاعُ المُعـدِمُ

جـ– قال تعالى : ﴿ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ﴾ [٢] .

د– أوصى عبدالملك بن مروان بنيه فقال :

« يا بَنِيَّ كفُّوا أذاكم، وابذلُوا معروفكم ، واعفوا إذا قدرتم، ولا تَبْخَلوا إذا سئلتُمْ ، ولا تُلحِفُوا إذا سألتم، فإن من ضيَّق ضيَّق اللّه عليه، ومن أعطى أخلف اللّه له » .

٢ – ميِّز الجمل الخبرية والإنشائية في كل مما يأتي :

أ – قال ﷺ : « الجنة أقرب إلى أحدكم من شِراكِ نعله، والنارُ مثل ذلك » .

ب– قال الزبيري :

بنفسي أفـتـدي الوطن الحـبـيـبـا ... وأحـمل في مـحـبَّـتِـهِ الخطوبا

جـ– قال أبو العتاهية :

اخزن لسانك بالسكوت عن الخنا ... واحـذر عليك عـواقب الأقـوال

د– قال تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [٣]

هـ– قال السموءل :

تسـيل على حـد الظّبـات نفـوسنا ... وليست على غيـر الظّبـاتِ تسـيل

و – قال الحطيئة :

دَعِ المكارم لاترحـل لبـغـيـتـهـا ... واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

٣ – حوِّل الأساليب الخبرية إلى إنشائية :

أ – حافظت اليمن على السلام في المنطقة .

ب– تسير الكشوفات البترولية في اليمن سيراً حثيثاً .

جـ– قال أحدهم يمدح شخصاً : « إنك لتكظِمُ الغيظ ، وتحلمُ عندَ الغضبِ، وتتجاوزُ عند القدرةِ، وتصفحَ عن الزَّلَّة » .

---

(١) سورة الشعراء، الآية : ٨٣ (٢) سورة الحجرات، من الآية : ١٢ (٣) سورة التوبة : آية ١٠٣

الجملة الخبرية (أغراضها وأضربها)

أولاً الأغـراض

الأمـــــثلة

١– قـال تعـالى : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ ﴾[1] .

٢– قالت أم المؤمنين خديجة –رضي الله عنها– مواسية رسول الله ﷺ

« إنك لتصدق في الحديث ، وتصل الرحم ، وتؤدي الأمانة »[2] .

٣– قـال تعـالى :﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا ﴾[3] .

٤– قال جرير :

أشكـو إليـك فـأشكـني ذرية لايشـبـعـون وأمـهـم لاتـشـبـع

٥– قال التهامي :

حكـم المنيـة في البـرية جـاري مـاهـذه الـدنيـا بـدارِ قـرارِ

جـاورت أعـدائي وجـاور ربَّه شَـتَّـانَ بـين جـواره وجـواري

٦– قال الفرزدق :

أحـلامنا تزن الجـبـال رزانةً وتـخـالـنا جناً إذا مـا نجـهـل

٧– **وفي الحديث** : « **إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل الجور في عدله** »[4] .

٨– قال شوقي :

ومـا نـيل المطالب بالتـمـني ولكن تؤخـذ الدنيـا غـلابا

(١) سورة المائدة، آية : ٣ .   (٢) سيرة ابن هشام جـ ١ .   (٣) سورة مريم، آية : ٤ .

٩ – قال النابغة :

فــإنك شـــمس والملوك كــواكب   إذا طلعت لم يبــد منهن كــوكب

١٠– قال جرير:

ولـو وزنـت حـلـومُ بـنـي نمـيـــــر   على الميـــــزان مـــــا وزنت ذبـابا

١١– قال شوقي:

صـلاح أمـرك للأخـلاق مـرجـعـه   فـقــوِّم النفس بـالأخـلاق تسـتــقم

التــوضــيح

ونحن نمعن النظر في الأمثلة السابقة سنجد أن الله يخبرنا في المثال الأول أنه قد أكمل للبشرية الدين وأتم لها النعمة ورضى لها الإسلام دينا، والغرض من هذه الجمل هو إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته، وهو حكم لم يعرفه المخاطبون بهذا الخطاب من قبل وكل حكم من هذا النوع يسمى فائدة الخبر.

وفي المثال الثاني تلقى أم المؤمنين بتلك الأخبار على مسامع النبي ﷺ لا لتعلمه بها ولكن ليعرف أنها تعرف ذلك عنه وتقف بجانبه، ولذلك فإن الغرض من هذه الأخبار إفادة المخاطب بأن المتكلم عالم بما تضمنته من أحكام، وكل حكم من هذا النوع يسمى لازم الفائدة.

ونتأمل المثال الثالث وما بعده لنجد أن هذه الأمثلة تهدف إلى إبلاغ السامع مقاصد أخرى – غير فائدة الخبر ولازم الفائدة– تفهم من السياق وقرائن الأحوال، فزكريا عليه السلام– فيما حكاه الله عنه في الآية الكريمة – يهدف من إلقاء الخبر إلى إظهار الضعف وسوء الحال .

وجرير في المثال الرابع يسترحم الخليفة ليستدر منه العطاء.

وأبو الحسن التهامي في المثال الخامس يظهر حزنه وتحسره على ميّته الذي فقده ومع ذلك تَقَبَّلَ هذا الأمرَ برضى وطمأنينة نفس فالدنيا ليست بدار قرار لأحد.

وفي المثال السادس يلقى الشاعر الخبر وهو لا يريد منه إلا الفخر بعقول قومه وشجاعتهم.

وفي المثال السابع لانفهم من الحديث الشريف مجرد الإخبار بل نقرأ فيه تحذير الحكام من الظلم والجور في حكمهم لرعاياهم.

وفي المثال الثامن أراد الشاعر من ذلك الخبر حث الشباب على الجد والعمل والسعي وترك التواكل والاعتماد على الأمنيات؛ فالدنيا لاتنال إلا بالجهد والمغالبة بعد توفيق الله.

وفي المثال التاسع لايريد النابغة مجرد الوصف وإنما يسعى إلى غرض أبعد من الوصف وهو المدح أي مدح الملك بالشهرة والغلبة والظهور.

وفي المثال العاشر يهدف جرير في خبره عن بني نمير إلى الهجاء والسخرية والتحقير.

وفي آخر مثال فإن غرض شوقي من خبره يتجاوز الإخبار إلى النصح والإرشاد وهكذا نجد الأغراض في الأمثلة من ٣–٩ أغراضاً بلاغية تفهم من السياق.

الخلاصة

للخبر غرضان أصليان:

الأول : إفادة المخاطب بالحكم الذي تضمنته الجملة، ويسمى هذا الحكم فائدة الخبر.

الثاني: إفادة المخاطب بأن المتكلم عالم بالحكم الذي تضمنته الجملة ؛ وذلك حينما يكون المخاطب عالماً بالخبر الذي ألقي إليه. ويسمى هذا الحكم لازم الفائدة.

وقد يخرج الخبر في اللغة العربية وأساليبها البلاغية عن هذين الغرضين إلى أغراض أخرى تدرك من السياق وقرائن أحوال المخاطبين نذكر منها الأغراض الآتية:

١– إظهار الضعف
٢– الاسترحام
٣– الحزن والتحسر
٤– الفخر
٥– التحذير
٦– الحث على السعي وعدم التواكل
٧– المدح
٨– الهجاء والسخرية .
٩– النصح والإرشاد.

أسئلة وتدريبات

بين الأغراض المستفادة من الأخبار الآتية:

١- توفي عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - سنة ٢٣هـ بعد أن حكم عشر سنوات وفتح فارس وجزءاً من بلاد الروم.

٢- لقد جئْتَ اليوم إلى عملك مبكراً.

٣- قال أبو العتاهية:

ومالي حيلةٌ إلا رجائي وعفوُك إن عفوتَ وحسنُ ظني

فكم من زلةٍ لي في الخطايا وأنت عليّ ذو فضلٍ ومنٍّ

إذا فكرتُ في ندمي عليها عضضتُ أناملي وقرعتُ سني

٤- قال الجاحظ: المشورة لقاح العقول، ورائد الصواب، والمستشير على النجاح واستنارة المرء برأي أخيه من عزم الأمور وحزم التدبير.

٥- قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لأحد المتواكلين «إن السماء لاتمطر ذهباً ولافضة».

٦- قال المتنبي:

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

٧- قال رسول الله -ﷺ- «أبغض الحلال إلى الله الطلاق»[1].

٩- انثر الأبيات التالية وبين أي الشاعرين كان أصدق في إظهار الغرض مع بيان الغرض المستفاد من الأبيات.

قالت الخنساء:

يذكِّرني طلوع الشمس صخراً وأذكره لكل غروب شمس

فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وقال جرير:

وأظلمت البلاد عليه حزناً وقلتُ أَفَارَقَ القمرُ المنيرُ

---

(١) رواه أبو داوود والبيهقي والحاكم.

ثانياً أضرُب الجملة الخبرية

الأمثلة:

- ١ -

قال المتنبي:

أنا الذي نظر الأعــــمى إلى أدبي وأســـمـــعت كلمــاتي من به صــمـمُ

أنام ملء جــفـــوني عن شـــواردها ويســهـــر الخلق جــراها ويخـــتـــصمُ

- ٢ -

١- قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠﴾[1].

٢- وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٤٦﴾[2].

٣- قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلۡبَشِيرُ أَلۡقَىٰهُ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ فَٱرۡتَدَّ بَصِيرٗاۖ﴾[3].

٤- قال الشاعر:

ألا في ســبــيل المجد مــا أنا فــاعل عـــفـــاف وإقـــدام وحـــزم ونائل

-٣-

١- قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ٤٤﴾[4].

٢- وقال تعالى: على لسان إبراهيم -عليه السلام-:

﴿وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصۡنَٰمَكُم بَعۡدَ أَن تُوَلُّواْ مُدۡبِرِينَ ٥٧﴾[5].

٣- قال أبو العلاء:

وإني وإن كنت الأخـــيـــر زمــانه لآت بما لـم تســـتـــطعـــه الأوائل

٤- قال زهير:

إن الثـــمـــانين وبلغـــتـــهــا قد أحـوجت سـمعي إلى ترجـمـان

---

(١) سورة المائدة آية: ٩٠ . (٢) سورة فصلت آية: ٤٦ . (٣) سورة يوسف آية: ٩٦ .
(٤) سورة النجم آية: ٤٣- ٤٤ . (٥) سورة الأنبيا آية: ٥٧ .

التـــوضـــيح

لو تفحصنا الأمثلة السابقة لوجدناها جميعاً جملاً خبرية بيد أن بعضها يخلو من أدوات التوكيد، وقسماً آخر يقترن بأداة توكيد واحدة، وقسماً ثالثاً يقترن بأكثر من أداة، وذلك وفقاً لحال المخاطب، أو ما يفترضه المتكلم من حال المخاطب.

فالمتنبي في المجموعة الأولى يلقي على مسامعنا أخباراً خالية من أدوات التوكيد لأننا لاننكر ولانتردد في قبول ما يدعيه من أحكام تضمّنها البيتان أو هكذا افترض المتنبي في مخاطبيه، ولذلك لم يؤكد لنا أياً من تلك الأخبار، وهذا الضرب من الجمل الخبرية يسمى ابتدائياً .

أما المجموعة الثانية فإن الآية الأولى منها افترضت في المخاطبين الإلمام بالحكم ولكنهم مترددون يريدون التثبت ليقطعوا الشك باليقين فاقتضت حالهم إلقاء الخبر مؤكداً بمؤكد واحد « إنما » دفعاً للشك ويسمى هذا طلبياً.

وكذلك المثال الثاني من المجموعة يشتمل على مؤكد واحد حرف الجر الزائد « بظلام » لتأكيد نفى الظلم عن الرب سبحانه قليله وكثيره .

أما المثال الثالث فأداة التوكيد واحدة وهي حرف زائد أيضاً وهو« أن » في قوله: « فلما أن جاء البشير » فـ (أنْ) هنا جاءت زائدة لتأكيد مجيء البشير.

أما المثال الرابع فأداة التوكيد واحدة أيضاً وهي « ألا » الاستفتاحية وهكذا فإن هذه الأخبار تسمى طلبية.

أما أمثلة المجموعة الثالثة فهي أخبار مؤكدة بأكثر من مؤكد .

المثال الأول منها مؤكد بأنَّ وضمير الفصل « وأنه هو » والثاني مؤكد بثلاثة مؤكدات: القسم ولام الابتداء ونون التوكيد الثقيلة « تالله لأكيدنَّ » .

والثالث قدر أبو العلاء المعري أن هناك من ينكر عليه ادعاءه، فاقتضت الحال أن يؤكد خبره ذاك بأكثر من مؤكد ليثبت لهم صحة دعواه ولذلك جاء البيت مؤكداً بأن واللام « وإني ... لآت » .

وفي المثال الرابع يؤكد زهير لمخاطبيه أن الثمانين عاماً كفيلة بفقد المرء لسمعه. ولما كان مثل هذا الادعاء يمكن أن يكون محل إنكار سارع زهير إلى تأكيده بـ (إنَّ) وقد.

وأمثلة هذه المجموعة تمثل ضرباً ثالثاً من أضرب الخبر وهو الخبر الإنكاري لأن المخاطب بهذا الخطاب منكر، ولذلك احتاج الخبر إلى توكيدين فأكثر.

الخـــلاصـــة

أ – للخبر ثلاثة أضرب وذلك وفقاً لحالات المخاطب:

الأول : ابتدائي وهو مايلقى إلى المخاطب عندما يكون خالي الذهن فيكون خالياً من أدوات التوكيد.

الثاني : طلبي وهو ما يلقى إلى المخاطب عندما يكون متردداً شاكاً في الحكم فيكون الخبر مصحوباً بمؤكد واحد على سبيل الاستحسان.

الثالث: انكاري وهو ما يلقى إلى المخاطب المنكر لمضمون الخبر فيجب أن يكون حينئذٍ مشتملاً على مؤكدين فأكثر حسب قوة الإنكار وضعفه.

ب– أدوات التوكيد كثيرة منها : إنَّ، وأنَّ، وقد، وضمير الفصل، [1] ولام الابتداء، وأمّا، وأحرف التَّنْبِيه، ونونا التوكيد الخفيفة والثقيلة في آخر الفعل، والحروف الزائدة وهي: (ما وأن ومِنْ والباء الجارة)[2] .

(١) لضمير الفصل وظيفتان التأكيد والاختصاص.

(٢) تزاد الباء باطراد بعد ليس وما النافية ومهمة هذه الحروف أنها تزيد حكم الجملة التي تدخل عليها قوة وتأكيداً.

أسئلة وتدريبات

١ـ استخرج أدوات التوكيد من الأمثلة الآتية :

أ ـ قال تعالى : ﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾[1] .

ب ـ وقال تعالى : ﴿ وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ ﴾[2] .

جـ ـ وقال النبي ـ ﷺ ـ «إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكمة» .

د ـ ليس في الأرض من بشر ولا في السماء من ملك إلا وهو عبدٌ لله .

٢ـ بين أضرب الخبر وعين أدوات التوكيد فيما يأتي :

أ ـ قال المتنبي :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

ب ـ وقال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ﴾[3] .

جـ ـ وقال علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ :أما بعد فإن الدنيا قد أدبرت وآذنت بوداعٍ ، وإن الآخرة قد أقبلت فأشرقت باطلاع، وإن المضمار[4] اليوم وغداً السباق .

د ـ ليس المجرم بأخ لك ولا السفيه بصديقك .

٣ـ اذكر مثالاً لكل نوع من أنواع الخبر الثلاثة : الابتدائي والطلبي والإنكاري .

٤ـ اجعل الأخبار الابتدائية التالية طلبية تارة وإنكارية تارة أخرى .

أ ـ البلاء موكل بالمنطق .

ب ـ قول الحق لم يدع لي صديقاً .

جـ ـ الرائد لايكذب أهله .

د ـ الرأي آفته الهوى .

(١) التكاثر، آية : ٨ . (٢) العصر، آية : ١ـ٢ . (٣) المؤمنون، آية : ١ـ٣ .

(٤) المضمار الأيام التي يُضَمَّر فيها الفرس استعداداً للسباق حيث يقلل له الطعام والشراب ليكون أقدر على الجري وهي استعارة لطيفة مبنية على المشابهة بين استعداد الإنسان للآخرة واستعداد الفرس للسباق .

الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي

الأمثلة

- أ -

١ – قال إبراهيم ناجي:

رفرف القلبُ بجنبي كالذبيح ... وأنا أهتفُ ياقلبُ اتئدْ

فيجيبُ الدمعُ والماضي الجريح ... لِمَ عُدنا؟ ليتَ أنّا لم نعُدْ

٢ – قال الشاعر:

لاتنهَ عن خُلقٍ وتأتي مثلَه ... عارٌ عليك إذا فعلتَ عظيمُ

- ب -

١ – قال تعالى :

﴿ قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾(١).

٢ – قال الشاعر :

حبذا العيش حين قومي جميعٌ ... لم تفرّق أمورَها الأهواءُ

٣ – قال الشاعر:

فما أكثرَ الأخوانَ حين تعدُّهم ... ولكنهم في النائبات قليلُ

٤ – قال الشاعر:

لَعمرُك ماضاقت بلادٌ بأهلِها ... ولكنَّ أخلاقَ الرجالِ تضيقُ

التوضيح

الأمثلة في المجموعة (أ) أساليب إنشائية متنوّعة خرجت عن معانيها الحقيقية إلى معانٍ بلاغية، ففي المثال الأول، النداء « ياقلب » ليس لمجرّد مناداة المخاطب، وإنّما للإشفاق والأمر في « اتئد » ليس لمجرّد الطلب لأن القلب ليس عاقلا يؤمر فيستجيب

(١) سورة الزمر الآية : ٧٢

وإنّما هو للتمنّي .

والاستفهام في « لِمَ عدنا ؟ » ليس على حقيقته وإنما يحمل مشاعر العتاب المرّ على الشاعر.

و« ليت أنّا لم نعد » هو للتمنّي : فالدمع والماضي الجريح يعاتبان الشاعر لخطئه في عودته إلى هذه الدار التي رحل الأحباب عنها .

أما المثال الثاني فالنهي « لاتنه » للنصح والإرشاد . وهذا النوع من الإنشاء يسمّى الإنشاء الطلبي .

أمّا الأمثلة في المجموعة (ب) فتجد فيها الصيغ الآتية :

« فبئس مثوى المتكبرين » صيغة ذم و« حبذا العيش » صيغة مدح ، و« ماأكثر » صيغة تعجب ، أما اللفظ « عسى » في الآية الكريمة فهو للرجاء ومثله « لعلّ »، و« لَعمرُك » في المثال الرابع قسم .

جميع هذه الأساليب إنشائية لكنها لاتخرج عن معانيها الحقيقية إلى معان أخرى بلاغية، ويسمّى هذا النوع من الإنشاء الإنشاء غير الطلبي .

الخلاصة

الإنشاء قسمان : طلبي وغير طلبي .

- **الطلبي** : وهو الذي يستدعي مطلوبا غير حاصل في اعتقاد المتكلّم وقت الطلب، وأنواعه خمسة : الأمر، النهي، الاستفهام، التمنّي، النداء .
- **غير الطلبي** : وهو مالايستدعي مطلوبا . وأنواعه كثيرة : كالمدح والذم والقسم، والتعجب، وأفعال الرجاء .

وهذا النوع من الإنشاء ليس مجال البحث البلاغي،لأن أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء . والإنشاء الطلبي مجال الدراسة البلاغية لأنه يتّصل بوجدان الأديب، وينقل إحساسه وشعوره متجاوزاً المضمون اللغوي للكلام إلى المعاني البلاغية .

أسئلة وتدريبات

١- عيّن صيغة الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي فيما تحته خط:

- قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

أعيـنيَّ جُـودا ولاتجمُـدا ... ألا تبكيـانِ لصَخْـرِ النّدى

- قال الشاعر:

لله درُّ العقـل من رائدٍ ... وصاحبٍ في العسرِ واليسرِ

- وقال آخر:

ما أقبحَ التزهيدَ من واعظٍ ... يُزهِّدُ الناسَ ولايَزهَدُ

- قال أبو العتاهية:

إلهي لاتُعذبْني فإنّي ... مُقرٌّ بالذي قد كان منّي

٢- عيّن صيغة الإنشاء الطلبي، وغير الطلبي، وبيّن نوع كل صيغة في كل ممّا يأتي:

- قال تعالى:

﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

- قال تعالى:

﴿يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ﴿٦٦﴾ ﴾[2].

- قال رسول الله -ﷺ- :

«لاتعجزوا في الدعاء، فإنَّه لايَهلَكُ مع الدعاء أحد».

- قال الطُغرائي:

أعلِّلُ النفسَ بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فُسحةُ الأملِ

- قال محمد محمود الزبيري:

ياقلبُ لاتأسَ ممَّا ذُقْتَه جزعاً ... فأيُّ قلبٍ أبيٍّ غيرُ مكدودِ؟

---

(١) سورة النحل، الآية: ٣٠.   (٢) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

أساليب الإنشاء الطلبي

أولاً - أسلوب الأمر:

وغرضه الحقيقي طلب حصول الفعل على وجه الاستعلاء، والإلزام، وله أربع صيغ:

١- فعل الأمر:

قال تعالى: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾(١).

٢- المضارع المقترن بلام الأمر قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقۡ ذُو سَعَةٖ مِّن سَعَتِهِۦۖ ﴾(٢).

٣- اسم فعل الأمر: قال تعالى:

﴿ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾(٣).

٤- المصدر النائب عن فعل الأمر قال تعالى:

﴿ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾(٤).

ثانياً- النهي:

وغرضه الحقيقي طلب الكف عن الفعل على وجه الإلزام والاستعلاء.

وله صيغة واحدة فقط. وهي المضارع مع لاالناهية كقوله تعالى:

﴿ وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا ﴾(٥).

ثالثاً - النداء:

وغرضه الأصلي طلبُ الإقبال، أو دعوة المخاطب بأداة من أدوات النداء.

كقوله تعالى: ﴿ قَالُواْ يَٰهُودُ مَا جِئۡتَنَا بِبَيِّنَةٖ ﴾(٦).

رابعاً- الاستفهام:

وغرضه الحقيقي طلب الفهم لشيء لم يكن لك به علم وذلك بأداة من أدوات الاستفهام المتعددة.

خامساً - التمني:

وهوطلب أمر محبوب مستحيل أو شديد البعد والحدوث وأدواته الأصلية «ليت»

كقوله تعالى: ﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ٧٩ ﴾(٧).

وتستعمل في التمني أدوات أخرى لأغراض بلاغية، وسيتم تناول كل أسلوب بالشرح والتفصيل.

---

(١) النحل، الآية: ١٢٥ . (٢) الطلاق، الآية: ٧ . (٣) المائدة، الآية: ١٣٠ . (٤) البقرة، الآية: ٢٨٥ .
(٥) الأعراف، الآية: ٥٦ . (٦) هود، الآية: ٥٣ . (٧) القصص، الآية: ٧٩ .

الأمر وأغراضه البلاغية

الأمـــــثـلـة

١– قال تعالى : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ۝٢٥ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ۝٢٦ ﴾[1] .

٢– وقال جلّ من قائل : ﴿ ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٤٠ ﴾[2] .

٣– قال جرير يهجو الراعي النميري :

فـغضّ الطرفَ إنَّك من نُمـيـرٍ ... فـلا كـعـبـاً بلغت ولاكِـلابَا

٤– قال بشارة الخوري يخاطب اليهود :

انشُـروا الهـولَ وصـبُّـوا ناركم ... كـيـفـمـا شِـئْـتُم فلنْ تَلقـوا جَـبَـانا

٥– قال كثيّر عزّة :

خليليّ هذا ربْع عــزّةَ فـاعــقِـلا ... قَلُوصَـيْكُـما ، ثم ابكيـا حيثُ حلَّتِ

٦– قال إيليا أبو ماضي :

لـتـكن حـيـاتك كـلُّهـا ... أمــلاً جــمــيــلاً طيّــبــا

ولـتـمـلأ الأحـلامُ نفـسَك ... في الكُـهـولةِ والـصِّـبَـا

٧– قال امرؤ القيس :

ألا أيُّهـا الليـلُ الطويلُ ألا انْجلِ ... بِصُبحٍ ومـا الإصْبَـاحُ منك بأمـثَلِ

٨– قال بشار بن برد :

فـعشْ واحـداً أوصلْ أخـاكَ فـإنَّه ... مُـقـارفُ ذنبٍ مـرّةً ومُـجَـانِبُـه

٩– قال شاعر آخر :

أروني بخـيـلاً طال عُـمـراً ببـخله ... وهَاتُوا كـريماً مات من كَثـرةِ البذْلِ

---

(١) طه، الآية : ٢٥–٢٦ .   (٢) فصلت، الآية: ٤٠ .

التوضيح

إذا تأمّلنا النماذج السابقة، وجدنا أن الأمر في جميعها لم يستعمل في معناه الحقيقي، وهو طلب الفعل من الأعلى إلى الأدنى على وجه الإيجاب والإلزام –كما مرّبنا– وإنما يدل على معانٍ أخرى بلاغية يدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال.

ففي المثال الأول نجد الأمر صادراً من أدنى إلى أعلى؛ فموسى عليه السلام يدعو ربَّه أن يشرح صدره، وأن ييسّر أمره . فالغرض من الأمرهو «الدعاء».

والأمر في الآية الكريمة «اعملوا ماشئتم » ليس المقصود منه أن يعمل البشر ما يشاؤون، ولكن المقصود منه هو «التهديد» بدليل قوله تعالى «إنه بما تعملون بصير» وهذا النوع من الأمر يكون في مقام عدم الرضا بالمأمور به.

ونجد جريراً في المثال الثالث يطلب من الشاعر النميري غضّ الطرف لأنه من قبيلة نمير، يريد إهانة الشاعر وتحقيره والحطّ من شأنه.

وفي المثال الرابع يخاطب الشاعر اليهود على لسان العرب بقوله :«انشروا الهول، صبّوا ناركم» وهو لايريد بهذا الأمر لهم أن يفعلوا ذلك ، ولكن أراد أن يبيّن أن العرب لايأبهون لكل ما يقوم به اليهود. وأنّ ذلك ما يزيدهم إلاّ اتّحاداً وقوةً.

فالأمر هنا خرج عن معناه الحقيقي إلى معنى بلاغي هو «التحدّي لليهود».

وإذا تدبرنا المثال الخامس وجدنا كثيّر عزة يتخيل صديقين له يستوقفهما –على عادة الشعراء– ويفضي إليهما بسرّه ومكنون صدره، ويطلب منهما أن يقيّدا ناقتيهما، وأن يبكيا معه هذا المكان الذي حلّت فيه محبوبته عزّة.

وصيغة الأمر إذا صدرت من رفيق لرفيقه أو من ندٍّ لندّه لم يرد بها الإيجاب والإلزام، وإنّما يراد بها الالتماس .ومثلها إذا قلت لزميلك: أعطني قلماً.

وفي المثال السادس نجد إيليا استخدم صيغة الأمر«لتكن حياتك..،ولتملأ الأحلام..» داعياً إلى الإقبال على الحياة، وملء النفس دائماً بالآمال المشرقة الجميلة. وهذا الأمر غرضه النصح والإرشاد.

وإذا تأملنا الأمثلة الباقية ، وتعرّفنا سياقها، وأحطنا بما يكتنفها من قرائن، أدركنا أن صيغ الأمر فيها لم تأت للدلالة على المعنى الأصلي وإنّما جاءت لتفيد: التمنّي ، والتخيير، والتعجيز على الترتيب.

الخلاصة

الأمر البلاغي هو الذي يحمل وراء معناه اللغوي معاني ومشاعر أخرى يريدها القائل وتفهم من سياق كلامه، أي من الجو الشعوري المسيطر عليه ، ومن القرائن المحيطة به كالدعاء، والتهديد، والإهانة والتحقير، والتحدي، والالتماس، والإرشاد والنصح، والتمني، والتخيير ، والتعجيز، والإباحة.. وغيرها.

سرّ جمال الأمر الأدبي اتصاله بشعور قائله ، كما أنّه يجذب السامع بانتقاله من المعنى اللغوي إلى ما وراءه من دلالات ومشاعر.

أسئلة وتدريبات

١– قال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾(١).

– وقال جلّ شأنه: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾(٢).

– قال أبو العلاء المعرّي:

فيا موت زرْ إن الحياة ذميمةٌ ... ويانفس جدّي إنّ دهرك هازلُ

– وفي القول المأثور:

اعمل لدنياك كأنّك تعيش أبدا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدا

– قال الصمّة القشيري:

قفا ودّعا نجداً ومن حلّ بالحمى ... وقلَّ لنجدٍ عندنا أن يُودَّعا

صِيَغ الأمر في النماذج السابقة تفيد : التمنّي – الالتماس – الدعاء – النصح والإرشاد – الإباحة.

انسب كل غرض إلى النموذج المناسب له.

٢– بيّن صيغ الأمر وعيّن المراد من كل صيغة فيما يأتي:

أ – قال تعالى: ﴿هَٰذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾(٣)

ب – قال حكيم لابنه: يابنيّ استعذ بالله من شرار الناس ، وكن من خيارهم على حذر»

(١) البقرة، الآية: ١٨٧ . (٢) الأحقاف الآية: ١٥ . (٣) لقمان الآية: ١١ .

جـ – قال البارودي:

ردّوا عليّ الصّبا من عصري الخالي   وهل يعودُ سوادُ اللمّةِ البالي؟!

د – قال رسول الله –ﷺ–: «صبراً آل ياسر فإن موعدكم الجنّة».

٣ – بيّن كيف خرج الأمر من معناه الحقيقي إلى معناه البلاغي فيما يأتي:

– قال تعالى: ﴿ قُلْ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴾ [١].

– قال الفرزدق يخاطب جريرا:

فادفع بكفّك إن أردت بناءنا   ثهلان ذا الهضبات هل يتحلحل؟

– قال المتنبي يخاطب سيف الدولة:

أجزني إذا أُنشِدتَ شعراً فإنّما   بشعري أتاك المادحون مُرَدَّدا

ودعْ كلَّ صوتٍ غير صوتي فإنّما   أنا الطائرُ المحكي والآخرُ الصدى

٤ – قال مالك بن الريب يرثي نفسه:

فيا صاحبَيْ رحلي دنا الموت فانزلا   برابيةٍ إنّي مقيمٌ لياليا

وقوما إذا ما استُلّ روحي فهيِّئا   لي السدر والأكفان ثم ابكيا ليا

وخطّا بأطراف الأسنّةِ مضجعي   وردّا على عينيّ فضل ردائيا

اشرح الأبيات السابقة، معيّنا صيغ الأمر. ومبيّنا ما فيها من جمال في ضوء السياق والقرائن المحيطة بهذه الصيغ.

(١) إبراهيم، الآية: ٣٠.

النهي وأغراضه البلاغية

الأمــــثلة

١– قال تعالى :

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾[١] .

٢– قال أبو نواس في مدح الأمين :

يا ناقُ لا تسأمي أو تبلُغي ملِكاً   تقبيل راحتِهِ والرُّكنِ[٢] سيّانِ
متى تحطِّي إليه الرَّحلَ سالمةً   تستجمعي الخَلْقَ في تمثال إنسانِ

٣– قال أبو العلاء المعرّي :

ولا تجلس إلى أهل الدَّنايا   فإنّ خلائق السُّفهاءِ تُعدي

٤– قال إيليا أبو ماضي :

يا أخي لا تملْ بوجهِك عنّي   ما أنا فحمةٌ ولا أنت فرقدْ[٣]

٥– قال عبد يغوث الحارثي لصاحبيه :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا   فما لكما في اللوم نفعٌ ولا ليا

التوضيح

سبق لدينا أن النهي له صيغة واحدة هي المضارع المقترن بلا الناهية، وأن معناها الحقيقي هو طلب الكف عن فعل شيء على وجه الاستعلاء ، ويكون من أعلى إلى أدنى . كقوله تعالى :

﴿ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ﴾[٤] .

(١) البقرة، آية : ٢٨٦ .
(٢) الركن : يقصد به الركن الحطيم بالكعبة .
(٣) الفرقد : النجم يُهتدى به .
(٤) الحجرات، آية : ١٢

فطالب الكف عن الفعل هو أعظم وأعلى وهو الله سبحانه وتعالى والمطلوب منهم الكفّ هم عباده.

أمّا في النماذج السابقة فإنّ النهي قد خرج عن معناه الحقيقي إلى معانٍ أخرى بلاغية يدركها السامع من السياق وقرائن الأحوال. فالآية الكريمة في المثال الأول نجد فيها ابتهال المؤمنين إلى الله تعالى «لا تؤاخذنا» فالنهي هنا خرج من معناه الحقيقي لأن الله تعالى أجلّ وأعلى من أن يوجّه إليه نهي، فالغرض البلاغي إذن هو الدعاء. ودائماً عندما يكون النهي من أدنى إلى أعلى فهو للدعاء، أو الرجاء.

وأبو نواس في المثال الثاني لايقصد من النهي معناه الحقيقي «لا تسأمي» لأن النوق لا تعقل، وإنما يتمنّى أن تتحمّل ناقته مشاقّ السفر وألاّ ينزل بها السأم حتى تبلغ دار الأمين، فترى هناك كيف جمع الله العالم في صورة إنسان.

وأبو العلاء في المثال الثالث ينصح من يخاطبه ويرشده إلى الابتعاد عن السفهاء، وأهل الدنايا.

وفي المثال الرابع نجد إيليا أبا ماضي متحدثاً إلى أخيه الإنسان الذي يتعالى عليه، ويعرض بوجهه عنه فينهاه معاتباً إياه . ويرى أن ليس شيء يدفعه إلى ذلك فما صاحبه بنجم ، وليس إيليا فحمة سوداء. فهما جميعاً سواء. والغرض هنا هو العتاب.

وعبد يغوث في المثال الخامس يخاطب صاحبيه وينهاهما عن لومه «لاتلوماني»ولكنه نهي يقصد منه الالتماس ؛ لأن صيغة النهي صدرت من ند إلى ند ويساعد على فهم «الالتماس» القرينة «فما لكما في اللوم خير ولاليا».

الخلاصة

يخرج النهي عن معناه الحقيقي إلى معانٍ بلاغية تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال وفي ظل الجو النفسي للقائل كالدعاء والتمني والنصح والإرشاد، والعتاب،والسخرية والتهكم، والالتماس، وأغراض أخرى متنوعة بتنوع الكلام وسياق الأسلوب.

وسرّ جمال النهي البلاغي يكمن في أنه يحدث انتباها وإثارة، وينقل السامع أو القارئ إلى ما وراء المعنى من دلالات وإيحاءات تضفي على المعنى قوّة وتأثيراً.

أسئلة وتدريبات

١- بيّن لماذا كان النهي فيما يأتي نهياً حقيقياً:

- قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾(١).
- قال جلّ ثناؤه: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾(٢).
- قال -ﷺ-: «لاتحاسدوا، ولاتناجشوا، ولاتباغضوا، ولاتدابروا ...».

٢- عيّن صيغة النهي، والمراد منها في كل ممّا يأتي:

- قال تعالى: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾(٣).
- قال جلّ من قائل: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾﴾(٤)
- قال الشاعر:

لاتحسب المجدَ تمراً أنت آكلُه ... لن تبلغَ المجدَ حتى تلعَقَ الصَبِرَا

- قال كعب بن زهير في الاعتذار للرسول -ﷺ-:

لاتأخذني بأقوالِ الوشاةِ ولم ... أُذنبْ ولو كثُرتْ فيّ الأقاويلُ

- قال أبو محجن الثقفي:

لاتسألي الناسَ عنْ مالي وكَثْرتَه ... وسائلي الناسَ عنْ ديني وعن خُلُقي

- قال إسماعيل صبري:

لاتقربُوا النيلَ إن لم تعملوا عملا ... فماؤه العذبُ لم يُخلَقْ لكَسْلان

- قال أبو جعفر المنصور: «أيُّها الناسُ، لاتخرجُوا من أُنسِ الطاعةِ إلى وحشَةِ المعصية، ولاتُسِرُّوا غشَّ الأئمة ...».

٣- هات ثلاثة أمثلة تفيد صيغ النهي فيها مرةً التمني، وأخرى الالتماس، وثالثة التحقير.

٤- نصح بعض الأصدقاء الشاعر الزبيري ألاّ يقول شعراً يثير به الشعب ضد الإمامة فقال ساخراً متهكماً:

مُتْ في ضلوعك ياضمير ... وادفنْ حياتَك في الصدورْ
لاتنطق الحقَّ فذاكَ خُـ ... ـرافةُ الغضِّ الغريرْ
فإذا نظرتَ دجىً فأعـ ... ـلنْ أنَّهُ الصبحُ المنيرْ

اشرح الأبيات السابقة، وعيِّن صيغ النهي، والأمر، والغرض منها. وسرَّ جمالها.

(١) البقرة، آية: ٤٢، (٢) البقرة، آية: ١٨٨، (٣) الحجرات، آية: ١١. (٤) آل عمران، آية: ١٩٤.

الاستفهام وأغراضه البلاغية

الأمثلة

– أ –

١– أراكباً جئت أم ماشياً ؟

٢– أيصدأ الذهب ؟

٣– هل نهض محمد ؟

٤– من فاز بالجائزة ؟

٥– ما الكرى ؟

٦– قال تعالى : ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ ﴾ [1] .

– ب –

١– قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ [2] .

٢– قال تعالى : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ ﴾ [3] .

٣– قال تعالى : ﴿ قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [4] .

٤– قال البحتري :

هل الدهر إلا غمرة وانجلاؤها وشيكاً وإلا ضيقة وانفراجها

٥– قال تعالى : ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [5] .

٦– قال أبو الطيب المتنبي في الرثاء :

من للمحافل [6] والجحافل [7] والسرى [8] فقدتْ بفقدك نيِّراً لا يطلُعُ

ومن اتخذتَ على الضيوف خليفة؟ ضاعوا ومثلك لا يكاد يضيَّع

---

(١) النازعات، آية : ٤٢ . (٢) المائدة، آية : ٩١ . (٣) الأعراف، آية : ٥٣ . (٤) الشعراء، آية : ١٣٦ .

(٥) التين ، آية : ٨ . (٦) المجامع . (٧) الجيوش . (٨) المشي في الليل والمقصود الزحف على الأعداء.

٧– قال تعالى على لسان الكفار: ﴿ أَهَـٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ ﴾[1].

٨– قال أبو تمام:

أين الرواية ؟ بل أين النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب

٩– قال الشاعر:

إلام الخُلْـــــف بينكـــمُ إلاما ؟ وهذي الضجة الكبــــرى علاما ؟

التـــوضـيـح

– أ –

الاستفهام طلب العلم بالشيء. وللاستفهام أدوات منها حرفان: الهمزة و« هل »والبقية أسماء.

المجموعة (أ) مكونة من ستة أمثلة. في المثال الأول يطلب السائل التصور، وهو إدراك المفرد، أي هل المخاطب جاء راكباً أم ماشياً. وفي المثال الثاني لايطلب السائل التصور (إدراك المفرد)، بل يريد التصديق، أي إدراك النسبة (نسبة الصدأ للذهب)، ولذلك جاء الاستفهام بلا معادل. والإجابة تكون « بنعم »أو « لا ». وفي المثال الثالث يطلب السائل التصديق أيضاً، ولكن بحرف الاستفهام « هل » .ويكون الجواب كذلك بـ« نعم »أو « لا ».

في المثال الرابع يستفهم السائل بالاسم « من » عن عاقل قد فاز بالجائزة، وفي المثال الخامس يستفهم السائل عن معنى غير عاقل (الكرى). وفي المثال السادس جاء الاستفهام في سياق الذكر الحكيم عن زمن قيام الساعة.

وكل الأسئلة السابقة أسئلة حقيقية يطلب السائل بها جواباً.

–ب–

بعد أن اتَّضح الاستفهام ومعانيه الحقيقية، نتبين في المجموعة (ب) من الأمثلة أن الاستفهام يخرج عن معانيه الحقيقية إلى معانٍ بلاغية تُفهم من السياق.

---

(١) الفرقان آية: ٤١.

في المثال الأول ليس المقصود الاستفهام الحقيقي بـ « هل » ولكن المقصود الذي يدل عليه سياق الآية الكريمة هو الأمر ، أمره سبحانه وتعالى بالكف عن الخمر والميسر. وفي المثال الثاني ليس المقصود في الذكر الحكيم استفهاماً حقيقياً، وإنما المقصود التمني، فالمتسائلون لايسألون، ولكنهم يتمنون من يشفع لهم يوم القيامة. وفي المثال الثالث تضمنت الآية استفهاماً بـ« الهمزة » . غير أن هذا الاستفهام ليس حقيقياً يطلب جواباً، ولكنه يفيد التسوية، أي تستوي كينونة الوعظ والتذكير من عدمها.

في المثال الرابع لايطلب البحتري العلم بشيء مجهول، وإنما يريد أن يقول : ماالدهر إلا شدة سرعان ما تنجلي وما هو إلاضيق يعقبه فرج ، فالاستفهام بـ « هل » غرضه النفي. وفي المثال الخامس لايأتي الاستفهام في سياق الآية الكريمة بغرض التصديق، ولكن بغرض التقرير.

في المثال السادس يقصد المتنبي التعظيم والإجلال بإظهار ماكان للمرثي أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم، مع مافي ذلك من إظهار التحسر والتفجع. وفي المثال السابع يقول الله تعالى على لسان الكفار : أهذا الإنسان هو الذي بعثه الله رسولاً. فالاستفهام لايراد لذاته، بل مقصود به التحقير.

في المثال الثامن لايتساءل أبو تمام تساؤلاً حقيقياً، ولكنه يقصد السخرية من المنجمين الذين قالوا للمعتصم إنه لن يفتح عمورية إلا بكذا وكذا . وفي المثال التاسع يتساءل الشاعر: لم كل هذا الخلاف وهذي الضجة بينكم، وتساؤله هذا تساؤل غرضه التوبيخ والتقريع.

الخلاصة

الاستفهام طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل، وله حرفان: الهمزة و« هل ».

– يطلب بالهمزة:

١ – التصور ، وهو إدراك المفرد، وتأتي الهمزة متلوة بالمسؤول عنه، ويذكر له في الغالب معادل بعد « أم ».

٢ – التصديق ، وهو إدراك النسبة ، وفي هذه الحالة يمتنع المعادل .

– أما « هل » فيطلب بها التصديق فقط .

كما أن للاستفهام أسماء هي : (من) للاستفهام عن العاقل، (ما) لغير العاقل، (أيان) للزمان المستقبل وفي موضع التفخيم والتهويل، (متى) للزمان الماضي والمستقبل، (كيف) للحال، (أين) للمكان ، (كم) لتعيين العدد، (أي) لتعيين أحد المتشاركَيْن . . .

وقد تخرج ألفاظ الاستفهام عن معانيها الأصلية لمعان أخرى تستفاد من سياق الكلام كالأمر، والتمني، والتسوية، والنفي، والتقرير، والتعظيم، والإجلال، والتحسر، والتحقير ، والسخرية، والتوبيخ، والتقريع، وسوى ذلك .

أسئلة وتدريبات

١ – سل عما يأتي :

أ – تعيين الوقت بعد أن وعدك صديق أن يزورك غداً .

ب– مكان وجود وحيد القرن .

جـ– معنى الحبور .

د– مخترع المصباح الكهربائي .

هـ– عدد الناجحين في المسابقة .

٢ – فرِّق بين الاستفهام الحقيقي والاستفهام البلاغي فيما يأتي :

أ – ما عنوانك ؟

ب– أتستطيع القراءة بدون أخطاء؟

جـ– هل أجد لديكم قليلاً من البّن؟

د– قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴾[1] .

هـ– قال الشاعر :

أضاعوني وأي فتى أضاعوا   ليوم كريهة وسداد ثغر

(١) الضحى، آية : ٦–٧

٣– حدد الاستفهام وبين غرضه في كل من الأمثلة الآتية:

أ – قال تعالى: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾﴾ [(١)].

ب– قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [(٢)].

جـ– قال المتنبي عن الحُمَّى:

أبنت الدهر عندي كل بنت ... فكيف وصلتِ أنت من الزحام

د – قال الشاعر:

فدع الوعيد فما وعيدك ضائري ... أطنين أجنحة الذباب يضير

هـ – قال الشاعر:

حتى متى أنتَ في لهو وفي لعب ... والموت نحوك يهوي فاغراً فاه

و – قال المتنبي:

ولست أبالي بعد إدراكي المنى ... أكان تراثاً ماتناولت أم كسبا

ز– قال الشاعر:

فعلام يلتمس العدو مساءتي ... أكان تراثاً ماتناولت أم كسبا

ح – قال المعري:

أعندي وقد مارست كل خفية ... يصدَّق واشٍ أو يخيَّبُ سائل

ط – قال المعلم للطالب:

تكرر تأخرك عن حضور الطابور، فهل تتجاوز ذلك ؟

ي – أليس فلان أكثر خيراً؟

---

(١) الصف، آية : ١٠ (٢) االرحمن: آية: ٦٠ .

التمني

الأمثلة

١ـ قال تعالى على لسان المتخلف عن الجهاد :

﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ مَعَهُمۡ فَأَفُوزَ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٧٣﴾ ﴾[١].

٢ـ قال الشاعر:

ألا ليت الشباب يعودُ يوماً فأُخبره بما صنعَ المشيبُ

٣ـ قال تعالى على لسان أهل النار : ﴿ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ ﴾[٢].

٤ـ قال تعالى على لسان المغرر بهم في الدنيا :﴿ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةٗ فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ ﴾[٣].

٥ـ قال الشاعر:

أسربَ القطَا هل من يُعير جناحَه لعلِّي إلى من قد هَويتُ أطيرُ

٦ـ قال تعالى على لسان قوم قارون:

﴿ يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ ﴾[٤].

٧ـ قال الشاعر:

عسى اللهُ أن يُجري المودةَ بيننا ويوصلَ حبلاً منكمُ بحباليا

التوضيح

في المثال الأول تحكي لنا الآية الكريمة عن المتخلف عن الجهاد (أو المنافق) عندما يرى الغنيمة يتمنى لو أنه خرج مع المجاهدين فيكون له نصيب منها .

وفي المثال الثاني يتمنى الشاعر أن يعود له شبابه الذي ولّى .

وفي المثال الثالث يتمنى أهل النار أن يكون لهم شفعاء يشفعون لهم من عذاب جهنم .

---

(١) النساء، آية : ٧٣ . (٢) الأعراف، آية : ٥٣ . (٣) البقرة، آية : ١٦٧ . (٤) القصص، آية : ٧٩ .

وفي المثال الرابع: يتمنى أتباع الظالمين (الذين أطاعوا هؤلاء الظالمين وعصوا ربهم) لو أن لهم رجعة إلى الدنيا ليتبرؤوا منهم فلا يطيعونهم.

وفي االمثال لخامس ينادي الشاعر جماعة الطيور ويتمنى أن يعيره أحدهم جناحه ليطير إلى من يحب. وكل هذه الأمنيات من المستحيلات.

أما في المثال السادس فيتمنى الذين يريدون الحياة الدنيا من قوم قارون –عندما يرونه يخرج في ثيابه الجميلة– أن يؤتوا مثل الذي أوتي قارون. وهذا ليس من المستحيلات، فهو ممكن، ولكنه بعيد التحقق لايُرجى حصوله.

والأدوات التي دلت على التمني في الأمثلة السابقة هي أداة التمني الأصلية (ليت) أو حرف من الحروف الدالة على التمني وهي: هل، ولو، ولعل.

وأما في المثال السابع، فيرجو الشاعر أن يوصله الله بمن يحب، وهو أمر ممكن ويُرجى حصوله، وبذلك يكون ترجياً، والترجي لايكون إلا في الممكنات، ويكون بلعل وعسى. وقد تستعمل فيه (ليت) لغرض بلاغي، كقول الشاعر يهجو قومه:

فليت لي بهمُ قوماً إذا ركبوا شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا

الخلاصة

١) التمني طلب أمر محبوب لايرجى حصوله، إما لكونه مستحيلاً أو لكونه ممكناً غير مطموع في نيله.

٢) الأداة الموضوعة للتمني (ليت)، وقد تستعمل ثلاثة أحرف نيابة عنها لأغراض بلاغية، وهي: هل، ولو، ولعل.

٣) إذا كان الأمر المحبوب ممكناً مطموعاً في نيله، كان ذلك ترجياً، وتستعمل للتعبير عنه لعل وعسى.

أسئلة وتدريبات

١- عين الأدوات الأصلية وغير الأصلية، موضحاً دلالاتها من حيث التمني والترجي فيما يأتي:

- قال جرير:

ولّى الشبابُ حميدةً أيامُه لو كان ذلك يُشترى أو يرجعُ

- قال ابن الرومي في شهر رمضان:

فليت الليلَ فيهِ كان شهراً ومرَّ نهارِه مرُّ السحابِ

- قال الشاعر:

تأنَّ ولا تعجلْ بلومِك صاحباً لعلَّ لهُ عُذراً وأنتَ تلومُ

- قال المتنبي يمدح كافوراً :

ألا ليت شعري هل أقول قصيدةً فلا أشتكي فيها ولا أتعتبُ

- وقال في رثاء أخت سيف الدولة:

فليت طالعةَ الشمسينِ غائبةٌ وليت غائبةَ الشمسينِ لم تغبِ

- قال بن الوليد:

واهاً لأيام الصبا وزمانه لو كان أسعفَ بالمقامِ قليلا

٢) هات مثالين لكل من التمني والترجي ، موضحاً الفرق بين كل منهما .

النـــــداء

الأمـــــثـلـة

١ – صعد رسول الله ﷺ على الصفا –تنفيذاً لأمر ربه بالجهر بالدعوة– فجعل ينادي: **يابني فِهر، يابني عدي، حتى اجتمعوا** ... فقال النبي ﷺ: «**أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا: ماجربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»[1].

٢ – لأميمة بنت الحارث توصي ابنتها في زواجها:

أي بنية، إن الوصية لو تُركت لفضل أدب تُركت لذلك منك ...

٣ – قال تعالى على لسان فرعون: ﴿ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا ﴾[2].

٤ – قال العباس بن الأحنف:

أزينَ نساءِ العالمينَ أجيبي دعاءَ مشوقٍ بالعراقِ، غريبِ

٥ – قال ابن الرومي في رثاء ابنه:

محمدُ ماشيءٌ تُوهِّمَ سلوةً لقلبي إلا زاد قلبي من الوجدِ

٦ – قال أبو تمام:

يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنكِ المنى حُفلاً معسولة الحلبِ

٧ – قال تعالى: ﴿ يَـٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ ﴾[3].

٨– قال تعالى على لسان الرجل المؤمن:

﴿ يَـٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴾[4].

---

(١) متفق عليه. (٢) الإسراء، آية: ١٠١. (٣) يس، آية: ٣٠. (٤) يس، آية: ٢٦.

التوضيح

في المثال الأول ينادى رسول الله ﷺ القوم ليقبلوا عليه، مستخدماً أداة النداء (يا) التي ينادي بها البعيد.

وفي المثال الثاني تنادى الأم ابنتها القريبة منها لتقبل عليها مستخدمة أداة النداء (أي) التي ينادي بها القريب.

أما في المثال الثالث فالنداء من فرعون لموسى عليه السلام قد جاء على خلاف الأصل، فقد استعمل فرعون أداة ينادى بها البعيد(يا) على الرغم من قرب المنادى (موسى عليه السلام) لبعده من نفسه، وإشارة إلى التقليل من شأنه.

وفي المثال الرابع ينادي الشاعر المشتاق الغريب في العراق حبيبته البعيدة عنه، مستعملاً أداة النداء (الهمزة) التي ينادى بها القريب، لقربها من نفسه.

ويفهم الغرض من النداء من سياق الكلام، فالشاعر في المثال الخامس لايريد بنداء ابنه الميت المعنى الأصلي للنداء (وهو طلب الإقبال)، ويوحي البيت الشعري بأن الغرض من النداء هنا هو التحسر.

وفي المثال السادس لاينادي الشاعر ذلك اليوم العظيم للغرض الأصلي للنداء، فالأيام لاتنادى ، إنما الغرض هنا التعظيم.

وفي المثال الثامن جاء حرف النداء للتنبيه، لأن حروف النداء مختصة بالأسماء.

الخلاصة

١) النداء : هو طلب الإقبال بأداة من أدواته.
أدوات النداء :(الهمزة ، أي ، يا ، آ ، أيا ، هيا ، وا ، آي).
وهي في الاستعمال قسمان:
أ) الهمزة وأي للقريب ب) باقي الأدوات للبعيد.

٢) قد يُنادى القريب بأداة البعد لأغراض بلاغية كالتحقير والتعظيم وتنبيه الغافل، وقد ينادى البعيد بأداة القرب لقربه من النفس.

٣) قد يخرج النداء عن معناه الأصلي وهو طلب الإقبال إلى معانٍ بلاغية تفهم من السياق كالتحسر والتعجب والتنبيه والإغراء والتحذير والزجر .. وغير ذلك.

أسئلة وتدريبات

١) بين الغرض من استعمال أداة النداء (يا) للقريب في الآتي :

– قال الفرزدق يهجو جريراً :

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جريرُ المجامعُ

– وقال أبو نواس :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ

– وقال أبو العتاهية :

يانفسُ قد أزف الرحيل وأظلّك الخطبُ الجليلْ

٢) وضح الغرض البلاغي من النداء فيما يأتي :

– أعينيَّ جُودَا ولاتجمُدا ألا تبكيانِ لصَخْرِ النّدى

– يا صاحبيّ تقصيا نظريكما تريا وجوه الروض كيف تصورُ

– يا أعدلَ الناسِ إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصمُ والحكمُ

– جادك الغيث إذا الغيث همى يازمان الوصلِ بالأندلس

– فوا عجباً كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ ووا أسفاً كم يظهر النقص فاضلُ

– يا قلبُ ويحَك ما سمعت لناصحٍ لما ارتميتَ، ولا اتَّقيتَ ملاما

٣) اشرح الأبيات الآتية شرحاً أدبياً مبيناً الغرض من النداء، ومن استخدام أداة البعد (أيا) :

أيا من عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العمر في قيل وقالِ

وأتعب نفسه فيما سيفنى وجمَّع من حرامٍ أو حلالِ

هب الدنيا تُساق إليك عفواً أليس مصير ذلك للزوالِ ؟

٤) مثل لما يأتي في عبارات من إنشائك :

– أداة نداء للبعيد في نداء القريب .

– أداة نداء للقريب في نداء البعيد .

– نداء–على خلاف الأصل– لغرض كل من : التنبيه ، التحسر ، الإغراء .

علم العَرُوض

- النشأة.
- التعريف.
- الأوزان والبحور.
- المصطلحات .
- الكتابة العروضية.
- كيفية تقطيع البيت الشعري.
- نموذجان من بحور الشعر :
  - الطويل.
  - الوافر.

عِلْمُ الْعَرُوض

١ـ أسباب نشأته

امتازت لغة العرب بمقدرة فائقة في التعبير بأدق ما يختلج في النفس ، ويضطرب في الخاطر . وبها امتلك العربي فصاحةً مبينة ، ولساناً معجزاً . فعمل على نظم ألفاظها، وجليل معانيها وفق إيقاعٍ موسيقي يشنِّفُ الأذن بعذوبة ترانيمه، ويطرب الطبع بلذيذ إيقاعه؛ فتولد من ذلك شعر منظومٌ أحكمت العرب نسجه، وضبطت نظمه فقيدته بالقوافي، وأوثقته بأوزان محكمة معتمدة في ذلك على ماحباها الله من موهبة فياضة،وقريحة صافية، وفكر نابه .فتوارثت الأجيال العربية المتعاقبة نظم الشعر وفق تلك المعايير دون أن تضع علماً محدداً يبين قوانين ذلك النَّظْم وأسس صناعته. بل كانت بحسها المرهف وفطرتها السليمة تهتدي إلى نظم إيقاع القصيدة وفق معايير السلف، وإلى نقد أي نشوز أو خروج عن هذا الإحساس، غير أن توسع الدولة الإسلامية و دخول العديد من الأمم تحت لوائها بمختلف ألسنتهم، وثقافتهم قد باعد بين المجتمع الإسلامي وبين البيئة العربية القديمة التي كانت تتمتع بسلامة الفطرة وصفائها ؛ مما دفع الحاجة إلى قيام علم يكون قادراً على وضع قواعد، وأسس لفن الشعر يُحدد فيها شكل البيت الشعري، وصناعته، وضبط جرسه الموسيقي بما يتلاءم مع نماذج الشعر العربي في الجاهلية، وصدر الإسلام. وقد قيَّض الله لهذه المهمة العالم الإسلامي المشهور (الخليل بن أحمد الفراهيدي) *

٢ـ تعريف علم العروض

هو العلم الذي نستطيع به أن نحدد موقع الخلل الإيقاعي في البيت الشعري العربي .

لذا نقول إن علم العروض هو : « ميزان الشعر العربي » .

---

* أحد أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، وهو أستاذ سيبويه النحوي. يعدّ أول من وضع علم الاشتقاق المعجمي في كتابه « العين »، ولد بالبصرة، وعاش فقيراً صابراً مغموراً، فكّر في ابتكار طريقة في الحساب يسهلُه على العامّة، فدخل المسجد وهو يُعْمِل فكره، فاصطدم بسارية وهو غافلٌ، فكانت سبب وفاته في البصرة، عام ١٧٠ هـ وقيل ١٧٤هـ رحمه الله.

٣- أسباب تسميته

– قيل: إنه سُمِّي بهذا الاسم لأن واضعه الخليل بن أحمد قد أُلهم به في موقع قرب مكة المكرمة،يسمّى (العروض) . وقيل: هو في الأصل اسمٌ للناقة الجامحة التي يتعذر ترويضها وسُمِّي به لما بينهما من علاقة في الصعوبة، وقيل: بل سمِّي (عروضاً) لأن الشعر العربي يعرض عليه؛ أي يوزن بواسطته.

٤- فائدتـــه

تكمن فائدته في حصر أوزان الشعر العربي وما يعتريها من زيادة أو نقصان إضافة إلى تنمية الذوق الموسيقي للأجيال العربية المتلاحقة؛ لتتمكن بمجرد القراءة أو السماع من التمييز بين صحيح الشعر وفاسده من حيث الوزن والإيقاع.

٥- أوزان الشعر

وضع (الخليل) خمسة عشر وزناً لقياس سلامة الشعر العربي وسَمَّى كل ميزان منها بحراً، وهذه البحور هي: (الطويل – البسيط – المديد – الوافر – الكامل – الرمل – الرّجز – الهزج – السريع – الخفيف – المنسرح – المجتث – المضارع – المتقارب – المقتضب)ثم أضاف العالم(سعيدبن مسعدة الأخفش)بحراً آخر أسماه (المتدارك). وكل بحر من هذه البحور يتألف من صيغ مختلفة يُعتمدُ عليها في قياس ألفاظ البيت الشعري من حيث الحركات والسكنات وتُسمى (التفاعيل) وتنحصر في ثمانية أنواع هي: (فعولن – مفاعيلن – متفاعلن – مستفعلن – فاعلن – مفاعلتن – فاعلاتن – مفعولات).

وهذه التفعيلات هي عبارة عن أوزان جزئية تتألف من جمل موسيقية وعند تكرارها على نسقٍ معين تتكون لدينا بحور الشعر العربي حيث يوزن كل بحر على تكرار واحدة من هذه التفاعيل أو أكثر من واحدة بشكل أو بآخر. مثال ذلك (البحر الطويل) وميزانه تحدده التفعيلات الآتية:

فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن ※ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن

مصطلحات عروضية

قبل الخوض في بحور الشعر العربي وتفعيلاته لابد لنا من الإلمام ببعض المصطلحات العروضية التي تتم بها الفائدة وهي:

أ – **البيت الشعري**: هو أصغر وحدة تتألف منها القصيدة أي هو السطر الواحد من القصيدة ويحتوي –عادة– على شطرين يُسمى أولهما الصدر وثانيهما العجز؛ ويكون هذان الشطران متساويين في عدد تفعيلاتهما.

ب – أجزاء البيت : للبيت الشعري ثلاثة أجزاء هي :

١– العروض : وهي آخر تفعيلة في صدر البيت .

٢– الضرب : وهو آخر تفعيلة في عجز البيت .

٣– الحشو : ويشمل كل تفاعيل البيت عدا العروض والضرب ، والمثال الآتي يوضح هذه التسميات :

قال المتنبي :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً	وحسب المنايا أن يكن أمانيا
فعولن مفاعيلن فعولن (مفاعيلن)	فعولن مفاعيلن فعول (مفاعلن)
الحشو العروض	الحشو الضرب

كما تلاحظ أن الصدر مؤلف من أربع تفعيلات والعجز مؤلف من أربع تفعيلات .

جـ – حرف الروي : هو النغمة الأخيرة التي ينتهي بها البيت ويجب على الشاعر أن يلتزم بها في جميع الأبيات . وإلى حرف الروي تُنسب القصيدة فنقول : (قصيدة ميمية) إذا كان آخرها ميماً ونقول : (قصيدة سينية) إذا كان آخرها سيناً ، وهكذا . .

د– التصريع : من شروط البيت المصرع أن تتساوى تفعيلتا العروض والضرب في حرف روي واحد ؛ بمعنى أن ينتهي البيت في الشطر الثاني بنفس حرف الروي الذي انتهى به في الشطر الأول . مثال ذلك قول أبي فراس الحمداني :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبر أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

(نلاحظ أن حرف الروي في صدر البيت وعجزه هو (الراء) .

الكتابة العروضية

هي نمط خاص من الكتابة يراعى فيها إثبات الحرف حسب النطق وليس حسب القواعد الإملائية المتعارف عليها . فكل ما يُنطق يُكتب وكل ما لا يُنطق لا يُكتب وعلى هذه القاعدة تزاد حروف وأُخرى تنقص أثناء الكتابة العروضية .

من الحروف التي تزاد

– الألف في بعض أسماء الإشارة وبعض الحروف فكلمات مثل :(لكن – هذه – هؤلاء – ذلك) . تكتب عروضياً :(لاكن – هاذ هي – هاؤلاء – ذالك) .

- الحرف المشدد يكتب حرفين أولهما ساكن والثاني متحرك فالكلمات المشددة (قلَّ – ثم – مدَّ) تكتب عروضياً : (قلْلَ –ثمْمَ – مدْدَ).
- إثبات التنوين بالنون وليس بالإشارة المألوفة، ويكون ذلك بإثبات حركة الحرف المنون(رفعاً أو نصباً أو جراً) ثم إضافة نون . فكلمات مثل: (رجلٌ – قلمٍ – عَلَماً). تكتب عروضياً :(رجلُنْ – قَلَمِنْ – عَلَمَنْ).
- إشباع الضمير إذا كان متحركاً مثل : (لهُ – به) تكتب عروضياً: (لهو– بهي)
- إشباع نهاية التفعيلة في الشطر الأول (العروض) إذا تساوت مع نهاية التفعيلة في الشطر الثاني (الضرب) مثل قول الشاعر امرئ القيس:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ   بسقطِ اللوا بين الدخولِ فحوملِ

ففي هذا البيت (المصرع) تساوت تفعيلتا العروض والضرب، وعليه تشبع تفعيلة العروض (منزل) وتكتب هكذا (منزلي) كما تشبع تفعيلة الضرب (فحومل) وتكتب هكذا (فحوملي).

الألف التي فوقها مد تكتب حرفين الأول متحرك والثاني ساكن فكلمة (آمين) تكتب عروضياً (أامين).

من الحروف التي تنقص

١ – همزة الوصل فكلمات مثل: (والقمر – فاستكتبته) تكتب عروضياً (ولقمر– فستكتبته).

٢ – الواو الزائدة من كلمة عمرو وتكتب هكذا (عمر).

٣ – الألف بعد واو الجماعة.

٤ – ألف الضمير فتكتب (أنا) (أنَ) في أغلب الأحيان.

٥ – اللام الشمسية ويفك الحرف الذي بعدها حرفين فتكتب (والسماء – للناس) هكذا: (وسسماء – لنناس).

ومثال ذلك تكون الكتابه العروضية للبيتين التاليين كما يلي:

قال الشاعر:

مـــــــاوَلَـدَتْ وَالَـدةٌ مِـن وَلَـدِ   أكـرمَ مِنْ عَـبْـدِ منافٍ حَـسَـبَـا

مَـــــــاْوَلَـدَتْ وَاْلِدَتُـن مِنْ وَلَـدِنْ   أكْـرَمَ مِن عَـبْـدِ مَنَافِنْ حَـسَـبَـاْ

قال الشاعر المتنبي:

وَمن نكد الدنيا على الحُرِّ أن يرى   عـدواً له مـا من صـداقـتـه بدُّ

وَمِنْ نَكَدِدْ دُنْيَاْ عَلَ لْحُرْرِ أن يَرَىَ   عَدُوْوَنْ لَهُوْ مَاْ مِن صَدَاْقَ تِهِيْبُدْدُوْ

الرموز العروضية

وضع علماء العروض طريقتين رمزيتين لقياس كل ماينطق من حروف البيت الشعري متحركاً كان أم ساكناً.

الطريقة الأولى: ترمز إلى كل حرفين متتاليين أولهما متحرك والثاني ساكن بخط هكذا (ــ) وترمز إلى كل حرف متحرك لايليه ساكن بركزة هكذا (بـ).

الطريقة الثانية: ترمز إلى كل حرف متحرك بشرطة هكذا (/) وإلى كل حرف ساكن بعلامة سكون هكذا (٥).

وسنعتمد الطريقة الرمزية الثانية لكونها الأسهل والأكثر يسرا.

كيفية التقطيع

تقطيع البيت هو أن نقيس ما فيه من حركات وسكنات بحسب تواليها فيه، ثم نعرضها على الميزان العروضي الذي يتلاءم معه من بين التفعيلات الثمان التي سبق ذكرها. بحيث يتحقق لنا الآتي:

١– معرفة البحر العروضي الذي ينتمي إليه البيت الشعري وبالتالي القصيدة.

٢– معرفة ما اعترى البيت الشعري من تغيير أو خلل إن وجد.

والخطوات التي نتبعها للوصول إلى هذه الغاية تتمثل في الآتي:

أولاً: كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، ثم تشكيل كل حرف فيه.

ثانياً: وضع الرموز العروضية تحت حروف البيت الشعري بما يناسب حركتها.

ثالثاً: وضع التفعيلات المناسبة بحسب حركات الرموز العروضية.

وإليك مثالاً على ذلك:

قال المتنبي :

أرانِبُ غــــيـــــر أنهـمُ ملوكٌ   مــفـتّــحــةٌ عــيــونُهمُ نِيَــامُ

أرَاْنِبُ غَيْ / رَأَنْنَهُــمُــوْ / مُلُوْكُنْ   مُفَتْتَحَتُنْ / عُيُوْ نُهُمُوْ / نِيَاْمُوْ

//٥///٥ | //٥///٥ | //٥/٥   //٥///٥ | //٥///٥ | //٥/٥

مُــفَــاعَلَتُنْ / مُــفَــاعَلَتُنْ / فَــعُــولُنْ   مُــفَــاعَلَتُنْ / مُــفَــاعَلَتُنْ / فَــعُــولُنْ

هذا البيت من البحر الوافر.

قلنا : إن بحور الشعر العربي ستة عشر بحراً ويتكون كل بحر من خلال تكرار واحدة من التفعيلات –الثمان– أو أكثر من واحدة على أن تتساوى عدد تفاعيل كل بحر في صدر البيت وعجزه. وسنعرض في هذا الفصل الدراسي أمثلة لبحرين من بحور الشعر العربي.

نود التنبيه أن علماء العروض أجازوا حدوث بعض التغيير في التفعيلات الثمان التي تشكل البحور الشعرية العربية خاصة في تفعيلتي العروض والضرب؛ حيث حددوا لكل بحر تفعيلاته وما يجوز عليها من تغيير.

فمثلاً : (فَعُوْلُنْ)قد تأتي (فَعُوْلُ) و(مَفَاْعِيْلُنْ) قد تأتي (مَفَاْعِلُنْ) وهكذا.. وسنبين ذلك عند شرحنا لكل بحر على حدة وما يطرأ على تفعيلاته من تغيير.

١ - البحر الطويل:

وضع العالم (صفي الدين الحلّي)– المتوفَّى عام ٧٥٠هـ– لكل بحر من بحور الشعر الستة عشر كلمات منظومة تساعد على حفظه، وصاغها على وزن تفعيلاته وأسماها (مفتاح) ومفتاح البحر الطويل:

طويلٌ لهُ بين البحورِ فضائل فعولن مفاعيلن فعولن مفاعِلُ

ميزانه :

فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاْعِيْلُنْ فَعُوْلُنْ مَفَاعِيْلُنْ

ما يجوز فيه :

(فَعُوْلُنْ)(//٥/٥) قد تأتي (فَعُوْلُ) (//٥/)

(مَفَاْعِيْلُنْ)(//٥/٥/٥)قد تأتي (مَفَاْعِلُنْ)(//٥//٥) وقد تأتي : (مَفَاْعِي) (//٥/٥) وتحول على وزن (فَعُوْلُنْ).

الأمثلة على البحر الطويل : قال الشاعر :

ستبـدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبـار من لم تُزَوِّدِ

سَتُبْدِي/ لَكَلْ أَيْيَا/ مُمَاكُنْ/ تَجَاْهِلَنْ وَيَأْتِي/ كَبِلْأَخْبَا/ رِمَنْ لَمْ/ تُزَوْوِدِي

//٥/٥ | //٥/٥/٥ | //٥/٥ | //٥//٥ //٥/ | //٥/٥/٥ | //٥/٥ | //٥//٥

فَعُوْلُنْ/ مَفَاْعِيْلُنْ/ فَعُوْلُنْ/ مَفَاْعِلُنْ فَعُوْلُ/ مَفَاْعِيْلُنْ/ فَعُوْلُنْ/ مَفَاْعِلُنْ

نلاحظ أن تفعيلة (العروض) جاءت على وزن (مَفَاْعِلُنْ) وكذلك تفعيلة (الضرب) في الشطر الثاني.

قال الشاعر:

ولا خـيـر فـيـمَن لا يُوطِّنُ نفسـهُ   عـلى نـائبـات الدّهـرِ حين تـنـوبُ

وَلاْخَيْ / رَفِي مَنْ لاْ / يُوَطْط / نُنَفْسَهُوْ   عَلَىْ نَاْ / ئِبَاْتِدْدَهْ / رِحِيْنَ / تَنُوْبُوْ

// ٥ / ٥ | // ٥ /٥/ ٥ | // ٥ / | // ٥ // ٥   // ٥ / ٥ | // ٥ /٥/ ٥ | // ٥ / | // ٥ / ٥

فَعُوْلُنْ / مَفَاْعِيْلُنْ / فَعُوْلُ / مَفَاْعِلُنْ   فَعُوْلُنْ / مَفَاْعِيْلُنْ / فَعُوْلُ / فَعُوْلُنْ

نلاحظ أن تفعيلة من تفاعيل الحشو في صدر البيت، وأخرى في عجزه جاءتا على وزن (فَعُوْلُ) كما أن تفعيلة (العروض) جاءت على وزن (مَفَاْعِلُنْ) أما تفعيلة (الضرب) فجاءت على وزن (فَعُوْلُنْ).

٢- البـحـر الوافـر:

مفتاحه: **بحور الشعر وافرها جميلُ   مفاعلتن مفاعلتن فعولُ**

ميزانه: **مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ   مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ**

ما يجوز فيه: مُفَاْعَلَتُنْ (// ٥ /// ٥) تأتي (مُفَاْعَلْتُنْ) (// ٥ /٥ / ٥) وقد تأتي (فَعُوْلُنْ) (// ٥ /٥) وتأتي (فَعُوْلْ).

الأمثلة على البحر الوافر. قال الشاعر:

لقد وفرت مواهبنا عليكم   كما كثرت مساوئكم إلينا

لَقَدْ وَفَرَتْ / مَوَاْهِبُنَاْ / عَلَيْكُمْ   كَمَاْ كَثُرَتْ / مَسَاْوِئُكُمْ / إِلَيْنَاْ

// ٥ /// ٥ | // ٥ /// ٥ | // ٥ /٥   // ٥ /// ٥ | // ٥ /// ٥ | // ٥ /٥

مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ فَعُوْلُنْ   مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ فَعُوْلُنْ

نلاحظ أن تفعيلة (العروض) جاءت على وزن (فَعُوْلُنْ) وكذلك تفعيلة (الضرب).

قال الشاعر:

إذا غضبت عليك بنو تميمٍ   حسبت النّاس كُلَّهُمُ غضابا

إِذَاْ غَضِبَتْ / عَلَيْكَ بَنُوْ / تَمِيْمِنْ   حَسِبْتَنْ نَاْ / سَكُلْ لَهُمُوْ / غِضَاْبَاْ

// ٥ /// ٥ | // ٥ /// ٥ | // ٥ /٥   // ٥ /٥/ ٥ | // ٥ /// ٥ | // ٥ /٥

مُفَاْعَلَتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ فَعُوْلُنْ   مُفَاْعَلْتُنْ مُفَاْعَلَتُنْ فَعُوْلُنْ

نلاحظ أن تفعيلة من تفاعيل الحشو في الشطر الثاني جاءت على وزن (مُفَاْعَلْتُنْ) وجاءت تفعيلتا العروض والضرب على وزن (فَعُوْلُنْ).

أسئلة وتدريبات

١ – من وضع أسس وقواعد علم العروض؟

٢ – كيف كان العرب يقيمون الأداء الشعري قبل معرفتهم بأوزان الشعر؟

٣ – لِمَ دعت الحاجة لوضع علم للعروض؟

٤ – ما العلاقة بين الناقة الجامحة وتسمية علم العروض؟

٥ – ما الفائدة التي تكمن وراء تعلم العروض؟

٦ – كم عدد بحور الشعر العربي؟ اذكر أربعة منها.

٧ – عَدِّدْ التفعيلات التي تزن بحور الشعر العربي .

٨ – حدِّد تفعيلات البحر الطويل.

٩ – اشرح المصطلحات العروضية التالية،ثم حدد مواقعها في بيت شعري تختاره
حرف الروي – الحشو – الضرب.

١٠– اشرح مصطلح التصريع ومثِّل على ذلك ببيت شعري تختاره.

١١– اكتب الكلمات التالية كتابة عروضية.(لكن – هذا – القمر).

١٢– كيف يكتب الحرف المشدد عروضياً ؟ مثل على ذلك بكلمة من عندك.

١٣– اكتب البيتين التاليين كتابة عروضية قولَ الشاعر بشار بن برد:

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الأمورِ مُعَاتِباً   صَدِيْقَكَ لم تَلْقَ الَّذي لاتُعَاتِبُهْ

قال الشاعر محمد سعيد جراده:

هيامٌ بِها والعاذِلونَ كَثِيْرٌ   وشَوْقٌ إِلَيْهَا واللِّقَاءُ عَسِيرُ

١٤– قطِّع الأبيات التالية، وحدد بحورها:

فيا ليت مابيني وبين أحبتي   من البعد مابيني وبين المصائب

سلو قلبي غداة سلاوتابا   لعلَّ على الجمال لهُ عتابا

أقول لها وقد طارت شعاعاً   من الأبطال ويحك لن تراعي

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى   ظمئت وأيُّ الناس تصفو مشاربُهْ

رابط بديل
lisanerab.com
أ. علاء الدين شوقي
www.lisanarb.com
twitter مكتبة لسان العرب
facebook مكتبة لسان العرب
instagram مكتبة لسان العرب

تَمَّ الجزء الأول

بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى